بيان فضائل القرآن الكريم في الصحيحين

دراسة بلاغية

إعداد

د/ فاطمة محمد حامد محمد

مدرس البلاغة والنقد في كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات بني سويف،
جامعة الأزهر، مصر

١٤٤٥هـ = ٢٠٢٤م.

ملخص البحث

شغلتْ الأحاديثُ النبوية كثيرًا من العلماء والمفكرين والباحثين من بعثة النبي ﷺ وحتى يومنا هذا؛ فأخذوا يتأملون أساليبها ويرتشفون من معانيها الدينية والبلاغية ما لا يمكن حصره ولا يُحيط به علم. وسيرًا على تلك الخُطى أردتُ أن أضمَّ إلى تلك الجهود البلاغية منها هذا البحث المتواضع، والذي يُعد قطرة في بحر مضامين الأحاديث النبوية، ولذلك جاء موضوع هذا البحث: (بيان فضائل القرآن الكريم في الصحيحين دراسة بلاغية) لغرضين أساسيين؛ الأول: استجلاء بعض الخصائص البلاغية التي أسهمت في تحقيق غاياته ﷺ، والآخر: التطبيق على نماذج مختارة من أحاديث النبي ﷺ، وقد اتَّبع البحث المنهج الوصفي التحليلي القائم على تتبع البيان النبوي، وبيان بلاغته في الحديث النبوي تعليمًا وتوجيهًا مما كان له دورٌ في بيان فضائل القرآن. وخَلُصَ البحثُ إلى أنَّ الأحاديثَ النبويةَ التي وردتْ في بيان فضائل القرآن اشتملتْ على مجموعةٍ متنوعةٍ من الفنونِ البلاغيةِ من أبوابِ علم المعاني؛ منها أحوال الإسناد الخبري، والإنشاء، والقصر، وغيرها، مما أسهم بدوره في خدمة المعاني، وكان أدعى للتأثير في السامع. وأما الفنون البيانية فكان أكثرها حضورًا التشبيه، تليه الكناية، ثم المجاز، وأما الفنون البديعية والتي لم يكثر حضورها إلا قليلًا مما استدعاه المقام وتطلبه السياق، وجاء عفو الخاطر فزاد الكلام رونقًا وبهاءً؛ فكان منها: المقابلة، والطباق، والجناس. وقد انتظم البحث في مقدمة، وتمهيد، ومبحثين؛ الأول: بلاغة أحاديث فضائل القرآن الكريم إجمالا، الثاني: بلاغة أحاديث فضائل بعض سور القرآن وآيه، ثم عقبتهما بخاتمة اشتملت على أهم النتائج التي توصل إليها البحث، تلتها فهارس البحث.

الكلمات المفتاحية:

خصائص – الأحاديث النبوية – فضائل القرآن – البلاغية – الصحيحين.

Explaining the virtues of the Holy Qur'an in the Two Sahihs، a rhetorical study

Fatima Mohamed Hamed Mohamed

Lecturer of Rhetoric and Criticism - Department of Rhetoric and Criticism - Faculty of Islamic and Arab Studies، Beni Suef Girls، Al-Azhar University، Arab Republic of Egypt

Email: Fmhm٢٧@gmail.com

Summary of the research:

The Prophetic hadiths have occupied many scholars، thinkers، and researchers from the mission of the Prophet to the present day. They began to contemplate its methods and sip on its religious and rhetorical implications that could not be enumerated or encompassed by knowledge. Following in those footsteps، I wanted to add to these rhetorical efforts، including this modest research، which is considered a drop in the ocean of the contents of the Prophetic hadiths، and therefore the topic of this research came:

)Explanation of the virtues of the Holy Qur'an in the Two Sahihs، a rhetorical study) for two basic purposes: The first: clarifying some of the rhetorical characteristics that contributed to achieving its goals، and the other: application to selected examples of the hadiths of the Prophet، may God bless him and grant him peace. The research followed the descriptive and analytical method based on tracing the prophetic systems and explaining its eloquence in the prophetic hadith as education and guidance، which had a role in explaining the virtues of the Qur'an The research concluded that the Prophetic hadiths that were mentioned in explaining the virtues of the Qur'an included a variety of rhetorical arts from the sections of the science of meanings. Among them are the conditions of narration، construction، shortening، and others، which in turn contributed to serving the meanings and were more likely to influence the listener. As for the graphic arts، the most prevalent of them was simile، followed by metonymy، then metaphor..

Among them are the conditions of narration، construction، shortening، and others، which in turn contributed to serving the

meanings and were more likely to influence the listener. As for the graphic arts، the most present were simile، followed by metonymy، then metaphor. As for the exquisite arts، which were not present in abundance، except for a few of what the situation called for and the context required، and the forgiveness of thoughts came، so the speech increased elegance and splendor. Among them were:

Opposite، antithesis، and alliteration. The research was organized into an introduction، a preface، and two sections: The first: The virtues of the Holy Qur'an in general. The second: The virtues of some of the Qur'an's surahs and verses. Then I followed them with a conclusion that included the most important results reached by the research، followed by the research indexes.

Key words:

Characteristics - Prophetic Hadiths - Virtues of the Qur'an - Rhetoric - Al-Sahihay.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الذي مَنَّ علينا بالقرآن الكريم، وأكرمنا برسالة سيد المرسلين الذي بعثه رحمة للعالمين، القائل في كتابه: ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[ص: ٢٩] ، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد،

فإنَّ الحديثَ النبويَّ له تفرده وبلاغته النابعة من خصوصيتهِ ﷺ بصفتهِ سيدُ الفصحاءِ وإمامُ البلغاءِ؛ ولذا كانت البلاغةُ النبويةُ هي أعلى درجاتِ الكمالِ البشريِّ في حُسنِ التَّأتي للمعاني بأدقِّ العباراتِ بما تحملهُ من دلالاتٍ ترسخُ في النفوسِ، وتأسرُ العقولَ، وتذهبُ بالألبابِ.

إنَّ هذا الجمالَ الفنى فى بلاغتهﷺ إنما يرجعُ إلى اتِّصالهِ بالملأ الأعلى؛ ذلك أَنَّ السنةَ النبويةَ هي المصدرُ الثاني للتشريعِ بعد القرآن الكريم، وقد أراد الله سبحانه وتعالى أنْ يكون هذا الدين نقطةَ تَحَولٍ فى حياة البشرية جمعاء، فبعثه الله في أُمَّةٍ تنقادُ للبيانِ، وتخضعُ لسلطانِ الفصاحةِ، فلا عجبَ أَنْ كان أبلغهم وأفصحهم، وكلامه ﷺ يتميز بإحكام أدائه، وفصاحته، وعذوبة منطقه وسلاسة نظمه، وأحاديثه ﷺ حَوَتْ صنوف البلاغة، وألوان الفصاحة، وعَبَّرت أدق تعبير عن سمو النفس التى خرجت منها، وبيَّنت المنبع العذب الذى نهلت منه.

ومن هنا تكمن أهمية الموضوع لذلك آثرت أن أقف عند بعض بيانه ﷺوالوصول من خلال تحليل بعض الأحاديث النبوية إلى خصائصه البلاغية التركيبية والتصويرية، وما اشتملت عليه من محسنات بديعية في التعبير عن فضائل القرآن والتنويه بعظيم شأنه، وكان الصحيحان جنة نقتطف منه أزهارًا تُطلِعُنا على خصائص بلاغته ﷺ ومكنون ألفاظه، لا سيما وأنَّ علوم البلاغة لها أثرها الفاعل في التَّوصيل؛ لأنَّ هذه العلوم كما تُسْهِم في الإمتاع؛ فإنها تُسهم في عملية الإقناع والتَّأثير في المتلقين في كل زمان ومكان، وهي وسيلة بيانية استطاع النبي ﷺ من خلالها أن يُبَيِّنَ فضائل قراءة القرآن وانتفاع

المسلمين به، ويُحذر من هجره؛ فجاء البحث موسومًا بـ« بيان فضائل القرآن الكريم في الصحيحين دراسة بلاغية»، والله وحده هو الموفق.

وقد كان من أهم دوافع اختياري هذا الموضوع ما يلي:

أولًا: أن الأحاديث النبوية تُعَدُّ الركن الثاني بعد كتاب الله سبحانه وتعالى بلاغة وبيانًا، ولمَّا كان النبي ﷺ هو الداعي إلى الله على بصيرة، وهو المعلم الأول، كان لأسلوبه الدعوي ولخطابه التعليمي خصائص بلاغية تُميزه عن غيره؛ فأراد البحث الوقوف على جانب من جوانب بلاغته وفصاحته في مجال الحثِّ على فضائل الأعمال تعليمًا وتوجيهًا وهو مقام ذو أهمية بالغة.

ثانيًا: بيان ما تنطوي عليه الأساليب البلاغية في أحاديث فضائل القرآن في الصحيحين من أسرار بلاغية أسهمت بدورها في إيصال غرضهﷺ للمتلقين في كل زمان ومكان؛ فأثرت في القلوب وعلقت بالأذهان، وكان لها وقع في النفس جعلها تتجاوب معه على أتم ما يكون.

ثالثًا: أن موضوع البحث يتعلق ببيان فضائل القرآن الكريم وهو أمر عظيم؛ فقراءة القرآن وحفظه وتدبره من خير ما يتقرب به العبد إلى خالقه؛ فالقرآن دستور ومنهاج حياة، والأحاديث في هذا الشأن كثيرة أيضًا؛ منها ما ورد ذكره في الصحيحين وهي الأحاديث محل الدراسة، وقد نبه النبي ﷺ على هذا الفضل العظيم؛ فأردت أن أحيا مع هذه الفضائل وألتمس بركتها من قريب؛ ذلك أن تلاوته مجمع البركات، وهي سبب للفوز والفلاح في الدنيا والآخرة؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾[فاطر: ٢] .

وأما عن الدراسات السابقة: لم أجد فيما وصل إليه علمي- بعد بحث طويل- دراسات سابقة في الموضوع نفسه، سوى بحث واحد قريبًا منه؛ بعنوان/ أحاديث الترغيب والترهيب في البيان النبوي وأثرها في قراءة القرآن الكريم وحفظه وتدبره دراسة

بلاغية نقدية، د/ هدى أحمد الذماري، بحث منشور في حولية كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، العدد الثالث والثلاثون.

ويهدف البحث إلى إبراز أهم الظواهر المتمثلة في أحاديث الترغيب والترهيب المتفردة في بيانه وأثرها في توجيه المسلمين، وترغيبهم في حفظ القرآن وتدارسه، وترهيبهم من الإعراض عنه وتركه. وتناول البحث هذا الموضوع في ثلاثة محاور؛ الأول: مفهوم الترغيب والترهيب ومكانته في البيان النبوي. المحور الثاني: أساليب الترغيب الواردة في أحاديث الإقبال على القرآن وحفظه، المحور الثالث: أساليب الترهيب الواردة في أحاديث البعد عن القرآن والانشغال عنه.

وبالإطلاع على الأحاديث محل الدراسة في بحثها وجدتها تناولت سبعة أحاديث، قامت الباحثة بتحليلها تحليلًا سطحيًّا؛ فلم تتعمق في دراستها البلاغية، ولم تتغلغل في نصوص الأحاديث لتكتشف ما وراء المعاني؛ إذ كانت الدراسة تميلُ إلى التَّنظير الأدبي أكثر منها إلى التَّطبيق البلاغي، وهذا يختلف عن دراستي في المنهج وطريقة العرض والتحليل؛ ذلك أنني تناولت في بحثي هذا الموسوم بـ (بيان فضائل القرآن الكريم في الصحيحين دراسة بلاغية) عشرين حديثًا نبويًّا قمتُ باستقرائها وبيان الخصائص البلاغية فيها، ودراستها دراسة بلاغية تطبيقية، ولم يتفق من الأحاديث محل الدراسة بيني وبينها سوى حديث واحد اختلف جوهريًّا في طريقة التناول والعرض والغرض منه، حيثُ جاءت الباحثة بالحديث النبوي وهو قوله: ﷺ:«أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ إِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ أَنْ يَجِدَ ثَلاثَ خَلِفَاتٍ عِظَامٍ سِمَانٍ. قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: ثَلاثُ آيَاتٍ يَقْرَؤُهُنَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلاتِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلاثِ خَلِفَاتٍ عِظَامٍ» مستشهدة به في محور: أساليب الترغيب الواردة في أحاديث الإقبال على القرآن وحفظه.

وأما بالنسبة لمشكلة هذا البحث الذي بين أيدينا فتكمن في السؤال الرئيس الذي بلور النقطة البحثية التي يدور حولها، وهو: كيف استطاع الأسلوب البلاغي الذي اتبعه النبي ﷺ بخصائصه المتفردة أن يقوم بدوره في التوصيل والتأثير في المتلقين؟ خاصة في

مقام التعليم والتوجيه وإرشاد المسلمين إلى فضائل الأعمال، وأهمها قراءة القرآن حثًّا على قرآته وتدبر معانيه، وزجرًا من إهماله وهجر تلاوته وتحذيرًا من نسيانه، وتتفرع عن هذا السؤال أسئلة فرعية تقتضي الإجابة عنها؛ منها: هل كان للسياق أثر في بيان ذلك؟ وهل وَجَدَتْ هذه الأحاديث صدىً في نفوس المتلقين آنذاك فتجاوبوا معها متخذين الأسلوب الحواري بما يمتاز به من خصائص بلاغية مجالًا للاستزادة من فضائل قراءة القرآن؟ كل ذلك يجعل الأسئلة تتوافد تباعًا تبحث عن أجوبة لها.

أما عن المنهج المُتبع في هذه الدراسة: فإن طبيعة الموضوع اقتضتْ أن يكون المنهج الوصفي التحليلي منهجًا رئيسًا لهذا البحث، فهو المنهج الذي يُعنى بوصف الظواهر وتحليلها، وفق الأدوات البلاغية المعنية بمجالات التصوير، ووضع ذلك في ميزان الوصف والتحليل، هذا بالإضافة إلى الاستعانة بالمنهج الاستقرائي الاستنباطي؛ حيث استقراء جميع الأحاديث الواردة في بيان فضائل القرآن في الصحيحين واستنباط أهم خصائصها البلاغية.

وقد اقتصرتُ ميدان البحث على الدراسة البلاغية لأحاديث فضائل القرآن في الصحيحين رغبة في عدم توسيع مصادر الدراسة؛ لأجل الإحاطة بالموضوع، ومن ثم الحصول على أفضل النتائج، بالإضافة إلى أن الكتابين هما أصح الكتب وأصدقها بعد كتاب الله سبحانه.

وقد جاءت هذه الدراسة مشتملة على عشرين حديثًا في بيان فضائل القرآن مختارة من صحيحي البخاري ومسلم، اتفق كلٌّ منهما في رواية كثير منها، وانفرد أحدهما ببعضها دون الآخر؛ جاء هذا الاختيار قائمًا على اختصاص هذه الأحاديث ببيان فضائل القرآن، والحث على تلاوته وحفظه واستذكاره، وبيان أجر القراءة، والتنبيه على فضائل بعض سوره وآيه، كما نبهتُ على اختلاف بعض الروايات، وقمتُ باستثناء الأحاديث التي ذُكر فيها لفظ القرآن لكنها لم تُعالج هذا الموضوع، وكذلك الأحاديث التي وردت

حكاية عن فعل رسول الله ﷺ ولم يرد فيها قولٌ صريحٌ لها، وكذا بعض الروايات المكررة منعًا للتكرار.

كما لم تتعرض هذه الدراسة إلى ذكر المصطلحات البلاغية وتقسيماتها إلا في القليل النذر منها؛ لأنَّ ذلك يُخلُّ بالدراسة التطبيقية التي هي الغرض من هذا البحث.

خطة البحث: بنيتُ البحث على مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة.

المقدمة: تتضمن عنوان البحث وأهميته، والدراسات السابقة، ومنهجه، وخطته.

التمهيد: ويتضمن محورين:

- المحور الأول: بلاغة الرسول ﷺ .
- المحور الثاني: فضائل القرآن الكريم.

المبحث الأول: بلاغة أحاديث فضائل القرآن الكريم إجمالًا .

ويشتمل على:

- أولا: القرآن المعجزة الخالدة للنبي ﷺ.
- ثانيا: بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف.
- ثالثا: خَيْرُكُمْ من تعلم الْقُرْآن وَعلمه.
- رابعًا: فضل الماهر في القرآن، والذي يُتَعْتِعُ فيه.
- خامسًا : اغْتِبَاط صَاحِبِ القُرْآنِ.
- سادسا: فضيلة حافظ القرآن.
- سابعًا: الأمر باسْتِذْكَارِ القُرْآنِ وَتَعَاهُدِهِ.
- ثامنًا: فضل قراءة القرآن في قيام الليل.

المبحث الثاني: بلاغة أحاديث فضائل بعض سور القرآن وآيه.

ويشتمل على:

- أولا: فضل قراءة سورة الفاتحة.
- ثانيا: فضل قراءة سورة البقرة ونزول الملائكة لقراءة القرآن.
- ثالثًا: فضل قراءة سورة الكهف.
- رابعا: فضل قراءة سورة الإخلاص « قل هو الله أحد».
- خامسا: فضل قراءة ما تيسر من القرآن في الصلاة وتعلمه.

الخاتمة: بها أبرز ما توصل إليه البحث من نتائج .

وقد حاولت قدر جهدي الالتزام بالمنهج الفني في هذا البحث، وأدعو الله سبحانه أن أكون قد وفقت في هذا العمل، وأسأله أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

التمهيد

المحور الأول: من بلاغة الرسول ﷺ

حَوَتْ أحاديثُ الرسول ﷺ بصفة عامة، صُنوف البلاغة، وألوان البيان والفصاحة؛ فكانت من أبرز مظاهر عظمته ودلائل نبوَّته، وعبَّرتْ أدقّ تعبير عن سموِّ نفسه ﷺ ، وأبانت عن المنبع العذب الذي نهلت منه؛ فأحاديثهﷺ ذروة البيان؛ لأنه جمع أسبابه لِمَا اختصه الله به من وحي أُمر بتبليغه للناس جميعا على اختلاف أجناسهم وتعدد لغاتهم، واختلاف عقولهم، ودرجات الفهم عندهم، مع علمه أن المخاطبين هم الناس كافة على اختلاف الأمكنة، وتوالي الأزمنة إلى أن تقوم الساعة، وقد تبارى العلماء والبلغاء في وصف فصاحته ﷺ، وما امتاز به كلامه من جمال وبلاغة جعلته يتربع على قمة الأساليب البشرية.

ومن أفضل ما قيل في ذلك ما سجله الجاحظ في وصف بيانه ﷺ إذ يقول: «وهو الكلام الذي قَلَّ عددُ حروفه، وكَثُرَ عددُ معانيه، وجَلَّ عن الصنعة، ونزه عن التكلف...، واستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السُّوقي. فلم ينطق إلا عن ميراث حكمه، ولم يتكلم إلا بكلام قد حُفَّ بالعصمة، وشيد بالتأييد، ويسر بالتوفيق...، ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعًا، ولا أصدق لفظًا، ولا أعدل وزنًا، ولا أجمل مذهبًا، ولا أكرم مطلبًا، ولا أحسن موقعًا، ولا أسهل مخرجًا، ولا أفصح عن معناه، ولا أبين في فحواه من كلامه ﷺ»(١).

وقد انفردتْ الأحاديثُ النبوية عامة بكثيرٍ من الخصائص البلاغية المعجزة برزت من خلالها مفرداتٌ وألفاظٌ دلتْ على هذا الإعجاز الذي أذكرُ منه:

- سُهولة دلالة الألفاظ وبعدها عن التكلفِ وعن فضولِ القولِ، فـ «لا كلفة ولا غموض، ولا إغراب، وقلة الغريب – بل نُدرته- في كلام النبي ﷺ أجدر الأمور

(١) البيان والتبيين: الجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ، ٢/ ١٣.

بالملاحظة في إقامة المثل والنماذج لأساليب البلاغة العربية»[1]، ولعل السرَّ في ذلك؛ أنه أراد أن يصل إلى سامعه من أيسر طريق، ولم يُرد أن يقيم بينه وبين السامع حاجزًا من لفظ غريب، أو معنى غريب.

• بلاغة الألفاظ والمعاني؛ وذلك باختيار ألفاظٍ جزلةٍ مألوفةٍ في لغة العرب، واضحةِ المعانى، يقول الرافعي: «وإذا نظرت فيما صَحَّ نقله من قول النبي ﷺ على جهة الصناعتين اللغوية والبيانية، رأيته في الأولى– يعني الصناعة اللغوية – مُسدَّد اللفظِ، مُحكم الوضع، جزل التركيب، متناسب الأجزاء في تأليف الكلمات، فهو فخم الجملة، واضح الصِّلة بين اللفظ ومعناه، واللفظ وضريبه في التأليف والنَّسق، ثمَّ لا ترى فيه حرفًا مضطربًا، ولا لفظةً مُستدعاةً، ولا مُستكرهةً عليه ...، وفي الثانية: حَسن المَعرِضِ، بَيِّن الجملةِ، واضح التفضيل، ظاهر الحدود، جيد الرصف، متمكن المعنى، واسع الحيلة في تصريفه، بديع الإشارة، غريب اللمحة، ناصع البيان، ثم لا ترى فيه إحالة، ولا استكراهًا، ولا ترى اضطرابًا، ولا خطلاً، ولا استعانة من عجز، ولا توسعًا من ضيق، ولا ضعفًا في وجه من الوجوه»[2].

لقد تضمنت ألفاظ الحديث النبوي جوامع الكلم؛ إذ تحوي عباراتٍ بسيطة قلَّت فيها الألفاظ، وكثرت فيها المعاني، وهذه المَيزة أُعطيت له، وفُضِّل بها على جميع الأنبياء ولذلك ظهر الإعجاز في البلاغة النبوية؛ فتضمنت معالم الإيجاز والسهولة وعدم التكلف، حيث قال ﷺ : « أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ»[3]. ولذلك « فقد كان حديث الرسول

(١) عبقرية محمد: عباس محمود العقاد،٧٠، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان.

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي، ٣٢٩، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٩، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

(٣) سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، ت/ أحمد محمد شاكر وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ٤/ ١٢٣،

ﷺ هو ذروةُ البلاغةِ البشرية التي تتقطعُ دونَها أعناقُ الرجالِ»[1]، فقد كان كلامه قولًا فصلًا في كل مقام، وكان «كلامه كله نورًا، وراءه قلب يملؤه توحيد الخالق، ويغمره حب الفضيلة، وراء هذا القلب عناية الله ﷻ ، فبلاغته ﷺ من صنع الله، وما كان من صنع الله تعالى يعجز عن تصويره أي إنسان»[2].

• السُّنةُ النبويةُ ألفاظها ليست قاصرة على زمن النبوةِ، أو زمن الصحابةِ، أو التابعين، بل هي صالحة لكل زمانٍ ومكانٍ، « ولذا ترى كلامه – ﷺ– يخرج من حدود الزمان؛ فكل عصر واجدٌ فيه ما يُقال له، وهو بذلك نُبُوَّةٌ لا تنقضي، وهو حيٌّ بالحياة ذاتها، وكأنما هو لونٌ على وجهٍ منها، كما ترى البياض مثلًا هو اللون على وجه طائفةٍ من الجنس البشري»[3].

إن لغةَ الحديث لغة عصرية؛ تتناسبُ مع جميع العصور، ذلك لأنه ﷺ المعلمُ لجميع الأمة يبلغُ رسالةَ ربه للناسِ كافة؛ فجاءت ألفاظُ السنةِ النبويةِ ببلاغتها لاتختصُ بأشخاص معينين، بل تخاطبُ العالمين.

***

حديث رقم (١٥٥٣) ط٢، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م، حسن صحيح، وأخرجه مسلم (٥٢٣) باختلاف يسير، وقوله: "أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ" أخرجه البخاري (٢٩٧٧).

(١) من مقدمة الشيخ أحمد محمد شاكر لكتاب (مفتاح كنوز السنة) تأليف: أ .ي. فنسنك، ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي، إدراة ترجمان السنة، مطبعة معارف لاهور، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

(٢) وحي الرسالة: أحمد حسن الزيات،٣/ ١٠٥، دار الثقافة- بيروت، ١٤٠٥هـ .

(٣) السمو الروحي الأعظم والجمال الفني في البلاغة النبوية: [مصطفى صادق الرافعي]، تح/ أبي عبد الرحمن البحيري وائل بن حافظ بن خلف،٤٧، دار البشير للثقافة والعلوم، دط، دت.

المحور الثاني: فضائل القرآن الكريم

تعريف الفضائل لغة:

من أوزان جموع الكثرة ما صيغ على فعائل، كفضائل، ومفردها: فضيلة على وزن فعيلة، وهي من أوزان المبالغة، والفضيلة: الدرجة الرفيعة في الفضل، والفضائل جمع فضيلة، وهي ما يزيد به الرجل علي غيره، وأكثر ما يستعمل في الخصائل المحمودة، كما أن الفضول أكثر استعماله في المذموم(١).

وفضائل القرآن: «تعني مُطلق المزايا والمَحاسن»(٢) والمنافع التي تترتب على قراءته وسماعه، أو المزايا التي يختص بها أهل القرآن، أو الصفات العظيمة التي يمتاز بها القرآن عن غيره.

وفضائل القرآن: «ما جاء في بيان شرف القرآن وما يتعلق به وإظهار مزايا سوره وآياته ومنافعها الدنيوية والأخروية»(٣)، والقرآن كتاب هداية وتشريع، يُتعبد بأحكامه والعمل بما فيه، وكذا يُتعبد بتلاوته، وتُنال المثوبة والأجر بقراءته؛ فقد روى ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنّه قال: « منْ قرأَ حرفًا من كتابِ اللهِ فله به حسنةٌ، والحسنةُ بعشرِ أمثالِها، لا أقولُ آلم حرفٌ، ولكن ألِفٌ حرفٌ، ولامٌ حرفٌ، وميمٌ حرفٌ»(٤). وهناك

(١) لسان العرب : محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)،١١/ ٥٣٤، دار صادر – بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

(٢) فضائل القرآن الكريم: عبد السلام بن صالح بن سليمان الجار الله، ٣٨، دار التدمرية، الرياض- السعودية، ط١، ١٤١٩هـ/ ٢٠٠٨م.

(٣) المرجع السابق: ٤٢.

(٤) أخرجه الترمذي : أبواب فضائل القرآن، بابُ مَا جَاءَ فِيمَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنَ القُرْآنِ مَالَهُ مِنَ الأَجْرِ، حديث رقم (٢٩١٠)، واللفظ له، وينظر(شعب الإيمان): أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار

فضائل خاصة تتعلّق بآية أو سورة معينة منه؛ فالقرآن يتفاضل بعضه عن بعض على الأصح من أقوال أهل العلم، لدلالة ظواهر النصوص على ذلك، منها حديث أُبي بن كعب رضي الله عنه والذي ورد معنا في هذا البحث، فيما رواه هو أن النبي ﷺ قال له: « أَبَا الْمُنْذِرِ أَيُّ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟ قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: أَبَا الْمُنْذِرِ أَيُّ آيَةٍ مَعَكَ مِنْ كِتَابِ اللهِ أَعْظَمُ؟ قُلْتُ: {اللهُ لَا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ القيوم}. قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ لِي: لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ...»[1]، ذكر بعض أهل العلم في بيان الأفضلية: «أما معنى الأفضلية أو التفاضل: فقد يكون بزيادة الأجر والثواب، وقد يرجع إلى معنى الآية ومضمونها، فما تضمنته آية الكرسي والحشر وسورة الإخلاص والفاتحة من المعاني لا يوجد في سورة المسد مثلًا، وقد تكون الأفضلية من جهة أنها تحفظ قارئها كما في آية الكرسي والمعوذتين، أو من جهة كونها رُقْية وشفاء كما في سورة الفاتحة»[2].

وقد ذكر الإمام ابن تيمية في حقيقة التفاضل بين آي القرآن وسوره أن القرآن باعتباره كلام الله له نسبتان: « نسبة إلى المتكلِّم به، ونسبة إلى المتكلَّم فيه، فهو يتفاضل ويتماثل باعتبار النسبتين.

أحمد الندوي، حديث رقم: (١٨٣٠)، ٣/ ٣٧٠، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣م.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: للإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل سورة الكهف، وآية الكرسي، حديث رقم (٨١٠)، ١٧/ ١٣٠، دار إحياء التراث العربي – بيروت، د. ت .

(٢) منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري: حمزة محمد قاسم، راجعه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، عني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون،، ٥/ ٧٨، مكتبة دار البيان، دمشق - الجمهورية العربية السورية، مكتبة المؤيد، الطائف - المملكة العربية السعودية، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م.

فالنسبة الأولى: هي نسبة المتكلَّم فيه، فالقرآن تتفاضل آياته وسوره باعتبار ألفاظها ومعانيها وإن كان المتكلِّم به واحدًا. فالسور والآيات التي تتضمن صفات الله والثناء عليه بأسمائه الحسنى ليست كالسور أو الآيات المتضمنة لذكر أبي لهب وفرعون وإبليس، وإن كان هذا كلامًا عظيمًا معظَّمًا تكلم الله به، وكذلك ليس الأمر بالتوحيد والإيمان بالله ورسوله وغير ذلك من أصول الدين الذي أمرت به الشرائع كلها كالأمر بكتابة الدَّيْن وبأخذ الزينة عند كل مسجد والأمر بالإنفاق على الحامل وإيتائها أجرها إذا أرضعت.

النسبة الثانية: هي نسبة المتكلم به، فالكلام يتفاضل بالنسبة إلى المتكلِّم به، وإن كان المتكلم فيه واحدًا؛ كما قال تعالى: {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ} [الشورى/ ٥١]، ومعلوم أن تكلُّمه من وراء حجاب أفضل من تكلمه بالإيحاء، وبإرسال رسول»[1].

ولهذا كان من فضائل النبي موسى عليه السلام أن الله كلمه تكليمًا، فقال تعالى: {إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي} [الأعراف/ ١٤٤]، وقال أيضًا مؤكدًا ذلك: {تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ} [البقرة/ ٢٥٣].

وأما القول بتفاضل سور القرآن وآيه بعضها من بعض بلاغة وإعجازا؛ فلا يوجد تفاوت فيما بينها، وهذا مرفوض ولم يقل به أحد من أهل العلم، وهذا ما سيتضح بيانه من خلال التحليل البلاغي للأحاديث النبوية التي وردت في هذا الجانب، وسيأتي ذلك تِباعًا.

(١) بتصرف من كتاب/ مجموع الفتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم رحمه الله، وساعده: ابنه محمد وفقه الله، ١٧/ ٥٧ - ٥٩، ٢٠٩ - ٢١٠، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة المنورة - السعودية، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

المبحث الأول

بلاغة أحاديث فضائل القرآن الكريم إجمالًا

تنوعت الأحاديثُ النبويةُ التي جاءت في بيان فضائل القرآن مُجملًا؛ تبعًا لاختلاف المقامات التي قيلت فيها، وكان الغرضُ منها التنبيه على فضائله والحثُّ على استذكاره وتَعاهُدِه بالتِّلاوةِ والدَّرسِ، وتُحذر مِن تَعريضِه للنِّسيانِ بهجره وإهمالِ تلاوتِه، وأحاديثه ﷺ في هذا الباب تفيض بيانًا وبلاغةً وتشعُّ نورًا وحكمة، وباستقراء الأحاديث النبوية في هذا الباب يتضح جليًّا أنها حَوَتْ كثيرًا من الفنون البلاغية التي تعاضدت فيما بينها وتلاحمت مع بعضها؛ لبيان غرضه ﷺ في هذا المجال.

أولا: القرآن المعجزة الخالدة للنبي ﷺ:

إن الحديث عن فضائل القرآن الكريم يبدأ من كونه هو الوحي المنزل على رسول الله ﷺ، وفي هذا الشأن جاء ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ القِيَامَةِ»(١).

هذا الحديث النبوي يقوم في بيانه على مجموعة من الأساليب البلاغية التي تآزرت فيما بينها، وأسهمت في بيان غرضه ﷺوكان أبرز هذه العناصر أسلوب القصر الذي جاء بطريقي «النفي والاستثناء، وإنما»، وقد ورد أسلوب القصر في أحاديث فضائل القرآن في الصحيحين بكثرة ملحوظة، وكانت أبرز طرقه: القصر بالنفي والاستثناء، والقصر بإنما. ومن المعلوم أن القصر بالنفي والاستثناء يُستَخْدَمُ فيما ينكره المخاطب ويجهله أو يشك فيه، بينما تُسْتَعمَلُ (إنما) في الحكمِ الظاهرِ المعلومِ الذي لا يُنكره

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل، حديث رقم (٤٦٩٦)، ٤/ ١٩٠٥، ومسلم في كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد m إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته ١/ ١٣٤ (١٥٢)، رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، رقم (٨١٧)،١/ ٥٥٩.

المخاطبُ ولا يشك فيه. واستهلال الحديث بأسلوب القصر بالنفي والاستثناء بقوله ﷺ: «مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ» ليُفيد اختصاص الأنبياء بالصفة المذكورة – تأييدهم بالمعجزات–، وهذا الأمر مما يجهله المخاطب وقد يشك فيه؛ لأن معجزات الأنبياء السابقين وجدت في زمانهم، ولم يجاوز أثرها زمانهم إلى زمن النبي ﷺ، والمعنى: لا نبي من الأنبياء إلا أُجري على يديه من المعجزات الشيء الذي يقتضي إيمان من شاهدها دليلًا على صدق دعواه؛ لأنها من خوارق العادات حسب زمانه ومكانه.

ثم ذكر ﷺ ما اختص به دونهم من فضل عظيم؛ فقال: «وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ القِيَامَةِ» إشارة إلى القرآن الكريم مؤكدًا على اختصاصه هو ﷺ وتفرده عن جميع الأنبياء بكونه أكثرهم تابعًا لدينه يوم القيامة؛ لأنَّ دعوته ورسالته باقية إلى يوم الدين، ومعجزته التي أُوتيها وحيًا من الله – تعالى– هي القرآن الكريم، وتلك معجزة باقية إلى يوم القيامة، ولذلك ناسب التعبير عن هذا المعنى القصر بإنما، فقوله ﷺ : « وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليَّ»: أي إن: « معجزتي التي تحديت بها قومي الوحي الذي أنزل عليَّ، وهو القرآن؛ لما اشتمل عليه من الإعجاز الواضح، وليس المراد حصر معجزاته فيه، ولا أنه لم يُؤتَ من المعجزات ما أُوتي مَنْ تقدمه، بل المراد: أنه المعجزة العُظمى التي اختص بها دون غيره؛ لأنَّ كل نبي أُعطي معجزة خاصة به لم يُعطها بعينها غيره فتحدى بها قومه، وكانت معجزة كلُّ نبي تقع مناسبة لحال قومه»[1]، والغرض من استخدام أسلوب القصر هنا هو المبالغة في تقرير المعاني، وترسيخها في الأذهان، وهذا مما يُكسب الكلام قوةً وتأثيرًا في نفوس المتلقين.

دَعَّمَ أسلوبَ القصر مجموعةٌ من العناصر التي تآزرت معه مما أسهمت في إيضاح معناه من ذلك: التعبير بالفعل الماضي المبني للمفعول: « أُعْطِيَ، أُوتِيتُ» لإفادة ثبوت

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم،١٠/ ٣٣٠، نشر: مكتبة الرشد، الرياض–السعودية، ط٣، ١٤٢٣ه، ٢٠٠٣م.

الحكم وتأكيد الخبر، ثم استخدام الجناس الاشتقاقي في قوله: « وحْيًا أوحاهُ» للتناغم الصوتي الذي أعطى جرسًا موسيقيًّا كان له أثر فاعل في جذب الانتباه، ولا يخفى ما فيه من رقة في الأداء، وتناسب صوتي ونسق بديع، يعكس إنسيابية المعاني، والهدوء النفسي الذي عمَّ أجواء الحديث، وفي إسناد الوحي إلى لفظ الجلالة «الله» في قوله:« وَحْيًا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ» دليل قطعي على أن القرآن وحيٌ إلهيٌ منزل من عند الله، كما أفاد هذا الإسناد التعظيم؛ تعظيم المُنْزِّلُ «الله سبحانه وتعالى»، وتعظيم المُنزَّل وهو القرآن نفسه، وتعظيم المُنزَّل عليه وهو النبيﷺ .

وقد دَلّ هذا الحديثُ على ما يأتي؛ أولاً: أَنَّ من فضائل القرآن كونه المعجزة الخالدة للنبي ﷺ في جميع العصور والأزمان، ولهذا اقتصر على ذكره في هذا الحديث، حتى كأنه لم يأت بمعجزة أخرى سواه، ولكن لأنَّ تلك المعجزات لا تأثير لها إلا في زمنهﷺ ، أما معجزة القرآن فإنها يُستدل بها على صدق رسالته مدى الحياة، إلى أن يرثَ الله الأرض وَمَنْ عليها.

ثانيًا: كثرة أتباعه يوم القيامة؛ لقولهﷺ: « فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا»، وهذا يدل على أن القرآن أعظم المعجزات على الإطلاق، وهذا من أشرف فضائلهِ ومَزاياه.

وبعد أن بَيَّن ﷺ أن القرآن هو الوحي المنزل على رسوله ﷺ ، وهو المعجزة الخالدة إلى يوم الدين، أخذ في بيان كيف نزل؟ وعلى أي حرف يُقرأ؟

***

ثانيا: بيان أَنَّ القرآن أنزل على سبعة أحرف :

والأحاديث في هذا الجانب تؤكد أن القرآن نزل أول ما نزل على وجه واحد من القراءة، ولكن النبي ﷺ كان يُراجع جبريل عليه السلام ويطلب منه أن يسأل ربه التخفيف والتسهيل، حتى انتهى الأمر إلى سبعة أحرف أي أوجه يجوز أن يُقرأ بكل وجه منها،

وتلك إحدى فضائل القرآن الكريم، وخصيصة عظيمة اختُص بها عن غيره من الكتب السماوية، من هذه الأحاديث:

ما ورد عن ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ فَرَاجَعْتُهُ، فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ وَيَزِيدُنِي حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ»(١).

جاء هذا الحديث ليُبيِّن أن جبريل عليه السلام كان ينزل بالقرآن على النبي ﷺ ويُقرئه على حرف واحد، فلم يزل النبي ﷺ يطلب منه الزيادة، حتى أقرأه القرآن على سبعة أحرفٍ وحيًا من الله تعالى؛ تخفيفًا وتيسيرًا على أمته، فأي حرف من السبعة قرأ به قارئ القرآن كانت قراءته صحيحة، وقد برزت مجموعة من العناصر البلاغية التي كان له الأثر البين في إيضاح غرضه ﷺ أبرزها التعبير عن طلب النبيﷺ الزيادة بقوله: «أَسْتَزِيدُهُ وَيَزِيدُنِي» هذا التَّجانس الصوتي البديع ذو الدلالة العميقة التي تُشير إلى رحمة النبي بأمته وتُنبئ عن امتثال أمين الوحي، وتبليغ مراجعته له إلى رب العزة – سبحانه- لتأتي رحمة الله العظيمة في التدرج في القراءة من حرفٍ، حتى انتهى إلى سبعة أحرف، فأفاد هذا التعبير تصوير الحركة الناتجة عن طلب الزيادة وتبليغ جبريل طلب هذه الزيادة وإجابة رب العزة بقبول التخفيف ثم تبليغ ذلك إلى النبي ﷺوفيها أيضًا دليلٌ على منزلة النبيﷺ عند ربه وعلو مكانته.

وقد عُدَّ هذا الانسجام اللفظي من قبيل الجناس؛ حيث جانس بين الكلمتين جناسًا اشتقاقيًّا لاشتراكهما في المادة اللغوية، هذا بالإضافة إلى أن التعبير بالفعل « أَسْتَزِيدُهُ» بزيادة الألف والسين والتاء ما يُفيد الزيادة في الطلب؛ إذ كل زيادة في المبنى تدل على الزيادة في المعنى، ويؤيد ذلك قوله: « حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ» وقد أفاد هذا اللون البديعي إيضاحًا في المعنى إذ يُعَدُّ نوعًا من لفتِّ الانتباه، كما أنه أعطى جَرسًا صوتيًّا وتناغمًا موسيقيًّا مُحَببًا تألفه الآذان، وقد ورد عفو الخاطر دون تكلف أو تصنع.

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، بَابُ أُنْزِلَ القُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، رقم (٤٩٩١)، وفي مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه: رقم (٨١٩).

هذا بالإضافة إلى التماسك النصي الذي أحدثته أدوات الربط التي تعددت في الحديث ما بين الحروف العاطفة «الفاء والواو وحتى» والتي كان أبرزها استخدام«الفاء» التي أنبأت عن سرعة استجابة النبي ﷺ وشفقته بأمته ونفي المشقة عنهم ومحاولته طلب التخفيف والتيسير فقال: «فَرَاجَعْتُهُ »، وحروف الجر»، والضمائر، جميع هذه الروابط أسهمت بدورها في ربط أجزاء الحديث ربطًا مُحكمًا مُرتبًا النتيجة على مقدماتها إلى أن وصل إلى غايته فقال: « حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ»، وتلك فضيلة جليلة القدر اختص بها القرآن الكريم تناسبًا مع اختلاف أوجه القراءة تبعًا لاختلاف لهجات ولغات القبائل العربية

نخلص من الحديث السابق إلى التنبيه على قراءة القرآن ومدارسته حال تآلف القلوب واتفاقها ونشاطها؛ فجاء الأمر تحذيرًا من الاختلاف والتنازع حول القرآن الكريم؛ قال ابن الجوزي: « كان اختلاف الصحابة يقع في القراءات واللغات، فأُمروا بالقيام عند الاختلاف؛ لئلا يجحد أحدهم ما يقرأ الآخر فيكون جاحدًا لما أنزله الله »[1]. ولذلك جاء هذا الحديث لينهي عن الاختلاف والتنازع ونبذ الفرقة لأي سببٍ كان؛ كتناقض أفهامهم للثوابت من أركان الدين وضرورياته، أو بسبب جهلهم بالقراءات الثابتة عن النبي ﷺ.

- فمن الأحاديث التي وردت في هذا الشأن قَولهﷺ: «اقْرَءُوا القُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عَنْهُ»[2].

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين كشف المشكل من حديث الصحيحين: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، تح/ علي حسين البواب، دار الوطن – الرياض ،(٢/ ٤٧)، وينظر/ شرح مسلم : للنووي، ١/ ٢١٨، حديث رقم : ٢١٩.

(٢) صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تح/ : محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، في كتاب فضائل القرآن، بَابُ اقْرَءُوا القُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ، حديث رقم (٥٠٦٠)، ٦/ ١٩٨، ط١، ١٤٢٢هـ ، وكذا صحيح

استهل هذا الحديث الشريف بالأمر بقراءة القرآن ومدارسته والحضّ على الجماعة والألفة، والتحذير من الفرقة والاختلاف، والنهي عن المِراء في القرآن بغير حق، وهذا هو المفهوم من جملة الشرط؛ حيثُ الشرط بـ (إذا) التي هي للشرط المقطوع بوقوعه فلا مناص من ترك المتابعة في الجدال عند الاختلاف، ومما دعم هذا الأسلوب أن الشرط أتى في سياق المقابلة التي تُظهر التقابل بين الحالين؛ حال الائتلاف وحال الاختلاف، حيث المقابلة بين«ائْتَلَفَتْ، واختلفتم»، وفي إسناد الائتلاف إلى الضمير العائد على القلوب في قوله : « ائْتَلَفَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ» ما يُوحِي بأن اجتماع المؤمنين على القرآن ومدارسته وتحكيمه فيما بينهم يكون بدافع قلبي يضعه الله في قلوب المؤمنين، أمَّا إذا دَبَّتْ الفرقة وشاعَ الاختلاف فإنما يكون لأسبابٍ خارجيةٍ كوسوسةِ الشيطانِ أو نحوه، ولذلك أسند الضمير في الاختلاف إليهم مباشرة، فقال: «فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ»، وهذا من باب تقييد الفعل بالشرط لتكثير الفائدة بغية تقرير المعنى وتأكيده؛ وفي هذا يقول الخطيب: « لتربية الفائدة أي تكثيرها، وتكثير الفائدة تعني أيضًا تقرير المعنى وتأكيده، ومعنى ذلك أنك إذا قلت: ضربت فقد أفدت فائدة، فإذا قلت: ضربت زيدًا كانت الفائدة أكثر، فإذا قلت: ضربت زيدًا يوم الجمعة زادت عن سابقتها، وهكذا كلما زاد الحكم قيدًا زاد فائدة ألا ترى أنك في المثال الأول أفدت وقوع الضرب منك فقط، وفي الثاني أفدت وقوع الضرب منك على زيد، وفي الثالث أفدت وقوع الضرب منك على زيد يوم الجمعة، وهكذا كل مثال كان أكثر فائدة مما قبله باعتبار ما قد أضيف إليه»[1]، ولما كان فعل الشرط يقتضي جوابًا له أثار ذلك في النفس سؤالًا مما يزيد من عمل الفكر وقدح زناد العقل، فلمَّا يأتِ الجواب يستقرُّ في الأذهان، ويتقررُ الحكم.

مسلم في باب النهي عن اتباع متشابه القرآن والنهي عن الاختلاف في القرآن، حديث رقم(٢٦٦٧)، ٤/ ٢٠٥٣.

(١) خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني: د/ محمد محمد أبو موسى، ٣١٨، مكتبة وهبة، ط٧.

هذا بالإضافة إلى أن أسلوب الشرط فيه جمع بين السبب والمسبب وترتب اللاحق على السابق، وذلك من التناسب والربط بين أجزاء الكلام؛ حيث تترتب النتائج على مقدماتها مما يُحدث إثارة وتشويقًا في ذهن المُتلقي عندما يُلقى إليه الجواب، فيستقرُّ الخبر في النفس ويجد له وقعًا فيها.

ومما أسهم في بيان غرضهﷺ هذا الطابق البديع بين قوله: «ائْتَلَفْتُمْ، واخْتَلَفْتُمْ» وهو من الطباق الخفي، الذي عمل على إيضاح غرضه ﷺ في نهي الناسِ عن الاختلاف والتنازع حول القرآن الكريم، والطباق من المحسنات المعنوية التي كثر ورودها في أحاديث فضائل القرآن؛ لحرص النبي ﷺ على إيضاح المعاني وتقريرها في نفوس مخاطبيه، فكان وضع الضد إزاء الضد حتى يَظهر حُسن الحَسن إذا قورن بما يقابله؛ فبالضد تتميز الأشياء، وهي طريقة ناجعة في تقرير المعاني وتجليتها.

***

ثالثا: خَيْرُكُمْ من تعلم الْقُرْآن وَعلمه:

ومما جاء في بيان فضل قراءة القرآن وتعلمه وتعليمه خاصة وأن فيهما خير كثير هذا الحديث الذي جاء عن عثمان بن عفان- ﷺ - عن النبي ﷺ أنه قال: «أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه»[1]، وفي رواية أخرى: «خيركم» والروايتان تتفقان في الغاية العُظمى التي يهدف إليها الحديث الشريف؛ وهي حثُّ المسلمين في كل زمانٍ ومكانٍ على تعلم القرآن وتعليمه، يؤيد ذلك التناسب الذي أحدثه التعبير بـ «مَنْ» الموصولة التي تُفيد عُموم الخطاب لجميع العقلاء ليدخلو في حيز الأفضلية والخيرية التي أخبر بها النبي ﷺ، هذا بالإضافة إلى أنه جمع بين تَعلُّم القرآن وتعليمه وعطفهما بالواو خاصة ليُفيد التشريك في الحكم فكلاهما في المرتبة نفسها، فهذ المؤمن الحق لم يجعل تعلم القرآن

(١) رواه البخاري، ٣/ ١٦٢٠، في كتاب فضائل القرآن، بَابٌ: خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ، حديث رقم: ٥٠٢٨.

قاصرًا عنده؛ إنما تعداه إلى غيره ليَعْظُم الفضلُ ويتكاثر النفعُ، «ولا شكَّ أن الجامع بين تعلُّم القرآن وتعليمه مكمِّل لنفسه ولغيره، جامع بين النَّفع القاصر والنفع المتعدي ولهذا كان أفضل»[1]، وهو يندرج تحت قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنْ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣].

ومما أضفى على الكلام رونقًا وبهاءً أن جاء التعبير في قوله: «تعَّلمَ القرآنَ وعلمه» من قبيل الجناس؛ حيث جانس بين «تعلَّم وعلَّم» جناسًا اشتقاقيًّا لاشتراكهما في مادة (ع ل م)، وهذا الأسلوب البديعي يُعَدُّ نوعًا من لفتِّ الانتباه، كما أنه أعطى جَرسًا صوتيًّا وتناغمًا موسيقيًّا مُحَببًا لدى السامع، وقد ورد عفو الخاطر دون القصد إلى استجلابهِ والتكلف له.

***

رابعًا: فضل الماهر في القرآن، والذي يُتعتع فيه:

من جملة الفضائل التي اختص بها القرآن الكريم أنه يُؤجر قارئه، ولذلك شرع النبي ﷺ في بيان فضل الذي يَقرَأُ القرآنَ وهو ماهرٌ حاذِقٌ، لا يتوقَّفُ ولا تَشُقُّ عليه القِراءةُ؛ لجَودةِ حِفظِه وإتقانِه لها؛ وكذلك بيان فضل الذي يقرأ القرآن ويشتد عليه هذا الأمر ويشق عليه؛ لضعف حفظه وإتقانه؛ حيثُ وَرَدَ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ ثُمَّ يُتَعْتِعُ فِيهِ وَهُوَ شَاقٌّ عَلَيْهِ لَهُ أَجْرَانِ»[2].

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، ٩/ ٧٩ ، مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة النبوية، مكتب تحقيق دار الحرمين – القاهرة، ط١، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ .

(٢) رواه البخاري: كتاب فضائل القرآن، با بُ اقْرَءُوا القُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ (٥٠٦٠)، ٦/ ١٨٨ ، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن، والتحذير من متبعيه، والنهي عن الاختلاف في القرآن، حديث رقم (٢٦٦٧)، ١/ ٥٥٢.

ولإظهار الغرض الذي أراد النبي بيانه ظهرت مجموعة من الأساليب البلاغية التي زادت المعنى وضوحًا؛ أبرزها تعريف المسند إليه بالموصوليه في قوله: «وَالَّذِي يَقْرَأُ ثُمَّ يُتَعْتِعُ فِيهِ وَهُوَ شَاقٌّ عَلَيْهِ» ليُفيد أن بلاغة الاسم الموصول كامنة في جملة الصلة، وجملة الصلة وما عطف عليها تدل على تكرار الحدث مع المداومة المصحوبة بالمجاهدة، فهو يقرأ ويتعتع وتشق عليه القراءة، لكنه يواصل القراءة ويحافظ عليها لا ينقطع عنها، وهذا مستفاد من التعبير بالمضارع في قوله: «يَقْرَأُ ثُمَّ يُتَعْتِعُ» حيث أفاد التجدد والاستمرار في الفعل وهو القراءة والمواظبة عليها، بالإضافة إلى أن الفعل «يُتَعْتِعُ» المضارع، وتكرار صوتي التاء والعين يحكي تلك المشقة التي يجدها هذا القارئ؛ حيث تردُّده في عِيّ، مع الصعوبة والتقطع في النطق أثناء القراءة، وهو ما يقابل نطق المقطع الأول من الكلمة (تعْ) بالسكون وقطع النفس، ثم المقطع الثاني (تع)، دعم هذه الصورة اقترانه بحرف العطف «ثُمَّ» الذي يفيد التراخي والمهلة في الفعل، فأفاد مزيد تصوير للجهد والمشقة التي يتحملها هذا القارئ مع مدوامتة وملازمتة القراءة وتكرارها.

من الصور البلاغية التي زادت المعنى وضوحًا؛ التضاد الذي جلاه الطباق الخفي؛ حيث طابق بين حالين مختلفين من أحوال الناس مع القرآن، وبيان أجر كل منهما؛ فطابق بين حال الماهر الذي يُجيد قراءة القرآن ويُتقنه، والمراد هنا جودة التلاوة مع حُسن الحفظ، وذكر أجره أنه مع السفرة الكرام البررة أي الملائكة المرسلين من الله إلى رسله فيبلغونهم ما أمر الله به فهي مكانة لا شك عظيمة، وبين الذي يُتعتع في قراءة القرآن فيتهجاه وهو عليه شاق فله أجران؛ أجر للتلاوة، والثاني: للتعب والمشقة.

ومن الصور البلاغية ذات الشأن التي كان لها دور في تمام المعنى والغرض الذي أراد النبي ﷺ تبليغه أن عبَّر عن أجر القارئ المُتعتع الذي تشق عليه القراءة ويصعب عليه الحفظ أن «لَهُ أَجْرَانِ» مؤثرًا أسلوب الحذف لأكثر من جملة؛ فحذف ماهية الأجرين ولم يُبن عن كنههما، وترك للمتلقي تخيل نوع الأجر وماهيته؛ تشجيعًا له على مواصلة القراءة حتى ترتقي درجته إلى مرتبة الماهر بالقراءة .

خامسًا : اغْتِبَاطِ صَاحِبِ القُرْآنِ:

يأتي هذا الحديث نتيجة بُنيت على الحديث السابق لأنه لما لازم قارئ القرآن القراءة والمتابعة سواء كان ماهرًا به، أم يجتهد في قراءته حتى أصبح القرآن ملازمًا له يقرأه ليل نهار؛ أخذ النبي ﷺفي بيان فضل هذه الدرجة العظيمة التي يُغبط صاحبها عليها؛ فكان هذا الحديث فيما جاء عن عَبْدِ اللهِ بنَ عُمَر رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهﷺ يَقُولُ: « لاَ حَسَدَ إِلَّا عَلَى اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الكِتَابَ، وَقَامَ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَرَجُلٌ أَعْطَاهُ اللهُ مَالًا، فَهُوَ يَتَصَدَّقُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ»(١).

ولبيان غرضهﷺجاء هذا الحديث مُشتملًا على مجموعة من الصور البلاغية ذات الأثر البيَّن في تعميق الدلالة، وأول ما يُطالعنا منها صورة القصر بالنفي والاستثناء في قوله: «لا حَسَدَ إِلَّا عَلَى اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الكِتَابَ، ...، وَرَجُلٌ أَعْطَاهُ اللهُ مَالًا...»، حيث قصر الحسد الذي استعاره للاغتباط قصر صفة على موصوف؛ لإفادة الاختصاص أي اختصاص الفعل (الحسد) بهذين الموصوفين؛ فضل العلم وفضل تعلم القرآن خاصة وفضل تعليمه، والغني إذا قام بشرط المال، وفعل فيه ما يرضي الله، وبهذا تكون المنافسة في الخير، والحض عليه، والغرض الحثٌّ على تحصيل الخصلتين؛ فالحسد المذكور في الحديث هو الغبطة وأطلق عليها الحسد مجازًا، وهي أن يتمنى أن يكون له مثل ما لغيره من غير أن يزول عنه، « فكأنه قال في الحديث لا غبطة أعظم أو أفضل من الغبطة في هذين الأمرين»(٢)، ويؤيد إرادة الغبطة قوله في رواية أخرى: «فَسَمِعَهُ جارٌ له،

(١) أخرجه البخاري: كتاب فضائل القرآن، بَابُ اغْتِبَاطِ صَاحِبِ القُرْآنِ، رقم(٥٠٢٥)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن، ويعلمه، وفضل من تعلم حكمة من فقه، أو غيره فعمل بها وعلمها، رقم (٨١٥) باختلاف يسير، تخريج المسند لشاكر: مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، تح: أحمد محمد شاكر، ٤/ ٣٠٣، دار الحديث – القاهرة، ط١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م.

(٢) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ٧/ ١٧٥.

فقالَ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ ما أُوتِيَ فُلانٌ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ ما يَعْمَلُ»[1]، فهو لم يتمنَ الزوالَ والسلبَ منه، بل تمنى أن يكون مثله، فهي منافسة في الخير وفي الأمور المحمودة.

ومما كان ذا أثر بَيِّنٍ في زيادة الإيضاح والبيان أنَّ النبيﷺ بعد أن أجمل الخصلتين، أراد تفصيلهما فقال: «لا حَسَدَ إِلَّا عَلَى اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الكِتَابَ، ...، وَرَجُلٌ أَعْطَاهُ اللهُ مَالًا... » فجاء بالمثنى «اثنتين» مُفسرًا باسمين: أحدهما معطوف على الآخر، وهو أسلوب بلاغي يُعرف بالتوشيع[2]، والغرض من مجيء الحديث على هذه الصورة من الإطناب تمكين المعنى في نفس المُتلقي أيَّما تمكين؛ حيث ورد إليها بعد استشرافٍ وتشويقٍ لمعرفته كاملاً بعد أنْ كان علمها به ناقصًا.

ومما كان له أثر بَيِّنٍ في إيصال غرضه ﷺ تنكير (مَالًا) في قوله: « وَرَجُلٌ أَعْطَاهُ اللهُ مَالًا» ليشمل القليل والكثير، وفي تعريف المسند إليه بضمير الغائب في قوله: «فهو ينفق» اكتفاء بذكره لدلالة السياق عليه.

***

سادسا: فضيلة حافظ القرآن:

من جملة الفضائل التي اختُص بها حافظ القرآن الملازم على قراءته ومدارسته؛ أن القرآن له تأثير على العبد ظاهرًا وباطنًا، وهذا المعنى صوَّره هذا الحديث النبوي الذي جاء تمثيلًا واضحًا لا يدع للشك مجالًا في هذا الأمر؛ حيث ورد عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنه قَالَ: « مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْأُتْرُجَّةِ

(١) حديث أبي هريرة في صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، بَابُ اقْرَءُوا القُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ، رقم: ٥٠٢٦.

(٢) هذا الفن البلاغي يُعَدُّ من أقسام الإطناب بالإيضاح بعد الإبهام، وعده بعض البلاغيين من المحسنات البديعية اللفظية، وإذا عُدَّ مُحسنًا جاء عفو الخاطر دون تكلفٍ أو استجلابٍ لقصد التحسين اللفظي، وكثيرًا ما كان يردُ في أحاديث النبي ﷺ، وورد معنا في أحاديث فضائل القرآن وله مغزاه البلاغي.

طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلا رِيحَ لَهَا، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةُ طَيِّبَةٌ الرِّيح وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ مُرَّةُ الطَّعْمِ وَلا رِيحَ لَهَا»(١).

هذا الحديث يقوم على التشبيه باعتباره الصورة الأكثر بروزًا والتي بُني عليها الحديث؛ حيث صورة التشبيه التمثيلي والتي جاءت في إطار المقابلة بين الأضداد؛ حيث قَابل النبي ﷺ بين المؤمن الذي يقرأ القرآن والذي لا يقرأ، ثم قَابَل بين المنافق الذي يقرأ القرآن والذي لا يقرأ، وذلك عن طريق عطف الجمل بالواو خاصة، فَقَسَّم الناس إلى أربعة أقسام تُبيِّنُ حالهم مع القرآن، وتكشف مدى علاقتهم به، فهذا التشبيه جاء معقودًا على أربعة صور:

الصورة الأولى: قدم فيها النبيﷺ حديثه بالمؤمن لأفضليته وتنبيهًا على شرفه وعلو مكانته على المنافق، وتساوقًا مع هذا التقديم جاء تقديم المؤمن الذي يقرأ القرآن على المؤمن الذي لا يقرأ تنبيهًا أيضًا على علو فضل قارئ القرآن على غيره، فشبه المؤمن الذي يقرأ القرآن وذلك حيث يجتمع الإيمان والقراءة معًا، بالأُترجة ذات الطعم الحسن والرائحة الطيبة، والحكمة من تشبيه النبي ﷺ (المؤمن قارئ القرآن) بالأُتْرُجّة دون غيرها من الفاكهة التى تجمع طيب الطعم والرائحة؛ لكثرة منافعها لأنه « يُتدوای بقشرها ويُستخرج من حبها دُهنٌ له منافع، وقيل إنّ الجن لاتقرب البيت الذي فيه الأُتْرُجّ فناسب أَنْ يشبه به القرآن الذى لا تقربه الشياطين، وأيضًا لأن غُلاف حَبِّهِ أبيض فهو يُشبه قلب المؤمن، وللأُتْرُجّ كثيرٌ من الفوائدِ والمنافعِ الأُخرى»(٢).

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة حافظ القرآن، حديث رقم: ٧٩٧، ١/ ٥٤٩، والبخاري: كتاب فضائل القرآن، بَابُ فَضْلِ القُرْآنِ عَلَى سَائِرِ الكَلاَمِ، حديث رقم ٥٠٢٠، ٦/ ١٩٠.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر العسقلاني، ١٣/ ٥٣٦.

وعبَّر بالكاف للدلالة على مدى التَّلاحم والتشابه بين الطرفين وقرب الشبه بينهما، واقترانها بـ(مثل) يأتي غالبًا في « مقام التذكير أو التنبيه على أمر خطير يَمَسُّ حياة الإنسان وآخرته، وكثيرًا ما ورد في القرآن الكريم»(١).

والصورة الثانية: شبّه فيها النبي ﷺ (المؤمن غير القارئ) أي الذي يتّصف بصفتي الإيمان وعدم القراءة بالتمرة، وهي ذات وصفين هما: الطعم وعدم الرائحة، فهو يفيد الناس بحُسن صوته وينتفع الناس منه كما ينتفعون بالتمرة، فقصور النفع إذن متحقق في الطرفين.

والصورة الثالثة: شبه فيها النبي ﷺ (المنافق القارئ) فهو متّصف بصفتي النفاق والقراءة، بالريحانة وهي ذات وصفين: هما الرائحة وعدم الطعم، وقدمت صورة المنافق الذي يقرأ القرآن على المنافق الذي لا يقرأ؛ تنويها على أنه أقل سوءًا من صاحبه الذي لا يقرأ لذلك كان حقه التأخير.

والصورة الرابعة: شبه فيها النبي ﷺ (المنافق غير القارئ) وهو مُتّصفٌ بصفتي النفاق وعدم القراءة بالحنظلة، وهي ذات وصفين: عدم الرائحة ومرارة الطعم، فزاد على النفاق عدم القراءة فكان هذا مما لا يُرجى خيره البتة.

والذي دعا إلى هذا التقسيم؛ أن القرآن له تأثير على العبد ظاهرًا وباطنًا، والعباد متفاوتون في ذلك التأثير، فمنهم من له النصيب الأوفر وهو المؤمن القارئ، ومنهم من لا نصيب له البتة وهو المنافق الحقيقي، ومنهم من تأثر باطنه دون ظاهره وهو المؤمن الذي لم يقرأ القرآن، ومنهم من تأثر ظاهره دون باطنه وهو المرائي بالقرآن، ولأنَّ هذه المعاني جميعها من العقليات؛ فإبراز هذه المعاني وتصويرها في صورة المحسوسات مما هو مذكور في الحديث، من الأترجة والتمرة والريحانة والحنظلة، فلم يكن ما يوافقها

(١) التشبيه التمثيلي في الحديث النبوي من خلال صحيح البخاري د/ محمد السيد عبد الرازق موسى، أستاذ مساعد البلاغة والنقد، كلية التربية – جامعة المنصورة،١٠، ١١، د ط، د ت.

ويلائمها أقربَ ولا أحسن ولا أجمع من ذلك؛ لأن المشبهات والمشبهات بها واردة وملائمة لهذا التقسيم.

ثم إنَّ لاختيار (التمرة) هنا معنىً بديعًا وهو أنَّ النبى ﷺ شبه المؤمن بالنخلة فى حديث آخر[1]، ووجه الشبه بين النخلة والمؤمن أنَّ النخلة لا يسقط ورقها وأنها كثيرة البركة، وأما المؤمن فكثير الخير، فكذلك حاله مع القرآن؛ باطنه طيب كما التمرة، ولكن لا ريح له فلم يصل النفع إلى ظاهره، ووجه الشبه في الجميع مركب تمثيلي منتزع من أمرين محسوسين طعم ورائحة، حيث « ضرب النبي المثل بما تنبته الأرض ويخرجه الشجر للمشابهة التي بينها وبين الأعمال؛ فإنها من ثمرات النفوس فخصَّ ما يخرجه الشجر من الأُترجة والتمر بالمؤمن، وبما تنبته الأرض من الحنظلة، والريحانة بالمنافق، تنبيهًا على علو شأن المؤمن وارتفاع علمه ودوام ذلك، وتوقيفًا على ضَعَةِ شأن المنافق وإحباط عمله وقلةِ جدواه »[2]. وعبر بصيغة المضارع بالإيجاب والسلب في قوله:«الذي يقرأ القرآن، والذي لا يقرأ» لإفادة تكريره ومداومته عليها حتى صارت دأبه وعادته ثبوتًا في جانب القارئ، وانتفاءً في جانب غير القارئ.

إن هذه الصورة التشبيهية القائمة على التشبيه التمثيلي كان الغرض منها تزيين الصورة حين أظهرت المؤمن في صورة حسنة محمودة مألوفة لدى الناس فرغَّبت في

(١) روي عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنه ﷺ قال: « إنَّ من الشجرةِ شجرةٌ لا يسقطُ ورقها وهي مثلُ المؤمنِ حدِّثوني ما هيَ؟ قال عبدُ اللهِ: فوقعَ الناسُ في شجرِ البوادي، ووقع في نفسي أنها النخلةُ، فقال النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ هي النخلةُ فاستحييتُ يعني أن أقولَ، قال عبدُ اللهِ فحدَّثتُ عمرَ بالذي وقع في نفسي فقال لأن تكون قلتَها أحبُّ إليَّ من أن يكون لي كذا وكذا». أخرجه الترمذي (٢٨٦٧) واللفظ له، وأخرجه البخاري: كتاب العلم، بَابُ قَوْلِ المُحَدِّثِ: حَدَّثَنَا، وَأَخْبَرَنَا، وَأَنْبَأَنَا، حديث رقم (٦١)، ومسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب مثل المؤمن مثل النخلة، حديث رقم: (٢٨١١) باختلاف يسير.

(٢) من بلاغة الحديث الشريف: عبد الفتاح لاشين ،٨١، ٨٢، مكتبة عكاظ- المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

قراءة القرآن، كما أظهرت الفاجر في صورة قبيحة وشنيعة فنفَّرت الناس من شأنها، وهذا آكد في باب الترغيب والتنفير، وذلك لأن فائدة التشبيه « أنك إذا مثلت الشيء بالشيء، فإنما تقصد به إثبات الخيال في النفس بصورة المشبه به أو معناه، وذلك أوكد في طرفي الترغيب فيه، أو التنفير عنه.ألا ترى أنك إذا شبهت صورة بصورة هي أحسن منها كان ذلك مثبتًا في النفس خيالًا حسنًا يدعو إلى الترغيب فيها. وكذلك إذا شبهتها بصورة شيء أقبح منها كان ذلك مثبتًا في النفس خيالًا قبيحًا يدعو إلى التنفير عنها، وهذا لا نزاع فيه»(١).

جاء هذا الحديث النبوي على هذه الصورة من التشبيه التمثيلي انطلاقًا من عنايته ﷺ بشتى أساليب الإيضاح والتعليم، وهدفه الأسمى هو إبراز المعانى في صورة مُجسمة لتوضيح الغامض، وتقريب البعيد، وإظهار المعقول فى صورة المحسوس، توضيحا للمعاني وسبيلًا إلى تقريبها للأذهان؛ فبلاغة التصوير البياني بضرب المثل في الحديث النبوي الشريف تتمثل في أنها وُجد لها من المقوماتٍ التي تسمو بها إلى أقوى الصور البلاغية، حيث إنَّ هذا التمثيل استمد عناصره من الواقع المحسوس الزرع والريح حين جاء بعناصر المشبهات بها « كَمَثَلِ الْأُتْرُجَّةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ، ... كَمَثَلِ التَّمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلا رِيحَ لَهَا، ... كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةُ طَيِّبَةُ الرِّيحِ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، ... كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ مُرَّةُ الطَّعْمِ وَلا رِيحَ لَهَا»، وقد ألحق بها المشبهات وهي مما لا تدركُ بالعقل وحده، بل تشترك معه الحواس المختلفة، كالرؤية بالعين الباصرة، فترى الزرع وأزهاره وثماره وحركته وألوانه، ...، وتدركه باللمس أيضًا لتشعر بالنعومة أو الخشونة، وبالشمِّ لروائحه وبالتذوق لمطعوماته وغير ذلك مما يدرك بالحواس الكثيرة مع العقل.

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعرالمؤلف: ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (المتوفى: ٦٣٧هـ) المحقق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة،٢/ ٩٩، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة ـ القاهرة.

كما أن هذا التمثيل يعتمد في بلاغته على الإيجاز لألفاظ لا تتجاوز المشبه والمشبه به، لكنها ثريَّة بالمعاني، لها بعدها في التأثير في المتلقين عبر كل زمان ومكان.

***

سابعًا: الأمر باسْتِذْكَارِ القُرْآنِ وَتَعَاهُدِهِ:

إذا أراد العبدُ الاستمرار على المكانة العظيمة التي وفقه الله إليها، وأن يظل ثابتًا على حفظه واتقانه لقراءة القرآن؛ فليواصل استذكاره ومراجعته وتعاهده حتى لا يتفلت منه، وهذا المعنى جلاه الحديث النبوي الذي روي عن رَسُولُ اللهِ ﷺ أنه قال: «بِئْسَ مَا لِأَحَدِهِمْ أَنْ يَقُولَ نَسِيتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ، بَلْ نُسِّيَ وَاسْتَذْكِرُوا القُرْآنَ، فَإِنَّهُ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ مِنَ النَّعَمِ»(١).

جاء هذا الحديث مشتملًا على مجموعة من العناصر البلاغية ذات الأثر البيِّن في بيان الغرض العظيم الذي سِيق من أجله، حيث استُهل بأسلوب الذم والتَّنفير من هذا القول على الخصوص؛ لأنه دليل إهمال وتفريط؛ فكأنه شهد على نفسه بهذا، وقد جاء ذلك على سبيل النصح والإرشاد مما دل عليه السياق وقرينة الحال، حيث قال ﷺ: «بِئْسَ مَا لِأَحَدِهِمْ أَنْ يَقُولَ نَسِيتُ ...» ثم أورد هذا الذم معللًا بقوله: «بَلْ نُسِّيَ».

هنا أنكَرَ النَّبيُّ ﷺ أنْ يقولَ أحدٌ: نَسِيتُ آيةَ كَيْتَ وكَيْتَ، وأمَرَ أنْ يُقالَ: «نَسِيتُ» أو «نُسِّيتُ» كما ورد في رواية أخرى، فيكون المعنى أنَّ اللهَ تعالى هو الذي أنساهُ، ومعناه: أنَّه عُوقِبَ بوُقوعِ النِّسيانِ عليه؛ بسبب تفريطِه في مُعاهدة القرآنِ واستذكارِه؛ «كَأَنَّهُ يُرِيدُ أَنَّ النَّهْيَ عَنْ قَوْلِ نَسِيتُ آيَةَ كَذَا وَكَذَا لَيْسَ لِلزَّجْرِ عَنْ هَذَا اللَّفْظِ؛ بَلْ لِلزَّجْرِ عَنْ تَعَاطِي أَسْبَابِ النِّسْيَانِ الْمُقْتَضِيَةِ لِقَوْلِ هَذَا اللَّفْظِ»(٢)، وقَوْلُهُ: «آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ» فإنَّ المقصود بـ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه،، كتاب فضائل القرآن، بَابُ اسْتِذْكَارِ القُرْآنِ وَتَعَاهُدِهِ رقم (٥٠٣٢)، ٦/ ١٩٣، ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الأمر بتعهد القرآن، وكراهة قول نسيت آية كذا، وجواز قول أنسيتها، حديث رقم (٧٩٠)، ١/ ٥٤٤.

(٢) فتح الباري: ابن حجر العسقلاني، باب نسيان القرآن وهل يقول نسيت آية كذا وكذا، ٩/ ٨٥.

«كَيْتَ وَكَيْتَ يُعَبَّرُ بِهِمَا عَنِ الْجُمَلِ الكَثِيرَةِ وَالحَدِيثِ الطَّوِيلِ وَمِثْلُهُمَا ذَيْتَ وَذَيْتَ، وَقَالَ ثَعْلَب: كَيْت للافعال وذيت للاسماء)[1]، وقد جاء التَّعبير في الحديث بقوله: «بئس... » من الإطناب بالإيضاح بعد الإبهام من باب نعم وبئس، وذلك بغرض التَّكثير من الفائدة، ولمزيد من التحذير من تَعرُّضِ القرآن للنسيان بهجره وإهمال تلاوته.

ثُمَّ أَوْصى النبي ﷺباستذكارِ القرآنِ ومُراجعتِه؛ لأنَّه أشدُّ تَفَصِّيًا، يعني: انفلاتًا «مِنَ النَّعمِ»، يقصد: مِنَ الإبلِ، والذي دعَّم هذا الأسلوب أن أعقبه بصورة التشبيه الضمني التي تؤكد المعنى وتوضحه وتزيده بيانًا، وقد صَدَّرها بالأمر «استذكروا» مما يُؤكدُ على التَّحذيرِ من التَّركِ وتَعَرُّضِهِ للنسيانِ بإهمالِ تلاوتِهِ، وتنويهًا على عِظَمِ فضلِ الاستذكارِ، فقال: «وَاسْتَذْكِرُوا القُرْآنَ، فَإِنَّهُ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ مِنَ النَّعَمِ» والمعنى: أنَّ الإنسانَ إذا لم يُداوِمِ على مُراجعةَ القرآنِ فإنَّه يَنفلِتُ مِنْ صدرِه كما تَهرُبَ الإبلُ إذا فُكَّ وثاقُها، وفي إسناد الصدور إلى الرجال في قوله: «مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ مِنَ النَّعَمِ» ما يُفيد تخصيص الرجال بالذكر؛ لأنهم أغلب أو أكثر حفظة القرآن، وخصَّ «الإبل» بالذكرِ لأنها أسرعُ الحيواناتِ نُفورًا، ولِما لها من مكانةٍ فى حياةِ العربى؛ فقد كانت وسيلته في الحِلِّ والتَّرَحال، في السفر والمعارك، فكان يحمل عليها زاده ومتاعه فى سفرِهِ، ولذا فهى جزء من حياته، وهو يحرصُ على عقلها خشيةَ ضياعها وتفلتها منه، وكذلك صاحبُ القرآنِ عليه أن يحرصَ على استذكارهِ حتى لا يتفلتَ منهُ بعد أنْ كان والقرآن صاحبين متلازمين.

***

ومَنِ هذا القبيل ما ورد عن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا وَإِنْ طَلَّقَهَا ذَهَبَتْ»[2].

(١) المرجع السابق: ٩/ ٨٠ .

(٢) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الأمر بتعهد القرآن، وكراهة قول نسيت آية كذا، وجواز قول أنسيتها (٧٨٩).

جاء الحديث ليحثُّ على تَعاهُدِ القرآنِ بالتِّلاوةِ والدَّرسِ، والتَّحذير مِن تَعريضِه للنِّسيانِ بهجره وإهمالِ تلاوتِه، وذلك في إطار تشبيهي تمثيلي قام على مقابلة بديعة أسهمت في إيضاح الجانبين المتقابلين ترغيبًا في المعاهدة على الحفظ والاستذكار، وتنفيرًا من إهمال التلاوة المؤدية إلى نسيانه، فشبه النبيﷺ حال صاحب القرآن المدوام على ورده من الحفظ والاستذكار والمراجعة فهو متمكن من القرآن يجمعه بين صدره، بصاحب الإبل المُعقّلة إنْ شدَّ عقلها بالحبال المتينة ضمنها في حوزته؛ فقال: «إنما مثل صاحب القرآن» وهو الذي أَلِف تلاوة القرآن حاله في ذلك «كمثل صاحب الإبل المعقلة » وهي الإبل التي عقلها صاحبها، فربط أرجلها بالحبال؛ لأنها قد تهرب بحيث لا يمكنه استرجاعها، ولكن «إن عاهد عليها» بأن راقبها، وأبقاها مربوطة مشدودة الحبال، بقيت عنده محفوظة من الضياع، «وإن أطلقها ذهبت»، أي: وإن فكها من حبالها هربت وتفلتت منه، وفي التعبير بـ«صاحب» في جانب المشبه وجانب المشبه به، دليل على إفادة المصاحبة ودوام الألفة بين حافظ القرآن بتكراره له وملازمته إياه، وبين صاحب الإبل وإبله فكلما أوثق عقلها وشد حبالها ضمنها في قبضته لا تتفلت منه.

دعم ذلك التعبير بأسلوب القصر باستخدام «إنما» حيث علق الحفظ والنسيان بالتلاوة والترك، كما شبه مدارسة القرآن واستمرار تلاوته بربط البعير الذي يخشى منه أن يشرد؛ فإذا دام التعاهد والاستذكار دام الحفظ وبقي، كما أنَّ البعير ما دام مشدودًا بالعقال فهو محفوظ، ناسب ذلك أنه خص الإبل بالذكر؛ لأنها أقرب شيء إلى الهروب، وكذلك القرآن يتفصى ويذهب من الصدور إنْ لم يتاعهد ويُقرأ ويستذكر.

***

ثامنًا: فضل قراءة القرآن في قيام الليل:

من سُبل استذكار القرآن ومعاهدته بالحفظ والمراجعة القيام به وقراءته في الصلاة، تنبيهًا على أن هذه الحال من صفات المؤمنين الذاكرين، وتلك إحدى فضائل القرآن،

وقد أخبر عن ذلك النبي ﷺ فقال فيما روي عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنه قَالَ: «إِذَا قَامَ صَاحِبُ الْقُرْآنِ يَقْرَأُهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ذَكَرَهُ، وَإِنْ لَمْ يَقُمْ بِهِ نَسِيَهُ»(١).

لمَّا أراد النبي ﷺ أنْ ينبه على شرف استذكار القرآن والمداومة عليه بقراءته في الصلاة وغيرها في جميع الأوقات من الليل والنهار، والتحذير من إهماله تكاسلًا؛ حتى لا تُسلب نعمة التذكر وشرف حفظ القرآن، عبَّر عن ذلك المعنى بمجموعة من العناصر البلاغية التي تعاضدت فيما بينها وتلاحمت مكونة شبكة من العناصر الجزئية التي سعت إلى بيان الصورة الكلية التي تمثل الغرض الجليل الذي نبَّه عليه النبيﷺ ، وأول ما ورد من تلك العناصر؛ أسلوب الشرط الذي جاء متنوعًا بين الشرط بإذا، والشرط بإنْ؛ حيث قال:«إِذَا قَامَ صَاحِبُ الْقُرْآنِ يَقْرَأُهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ذَكَرَهُ، وَإِنْ لَمْ يَقُمْ بِهِ نَسِيَهُ» فاستخدم «إِذَا» للشرط المقطوع بحصوله فأفاد تحقق الفعل وثبوته، فهي تُوحِي بكثرة وقوع ذلك من المؤمنين، وهذا هو الأصل في المؤمن أنْ يقوم بالقرآن ويقرأه في الصلاة، وأن يحافظ على صلاة القيام بالليل والتي تطول فيها قراءة القرآن في القيام، وقال: «إنْ» في الجانب المقابل للدلالة على قلة وقوع ذلك من المؤمنين.

والذي مكَّن لهذا الأسلوب مجيئه في إطار المقابلة التي أظهرت الضدين وميَّزت بين الحالين في إطار بديع؛ ففي الحديث مقابلة بين حالين متقابلين: حال من قام بالقرآن وقرأه في صلاته ليل نهار فهو متذكر له على الدوام، وبين حال من لم يفعل ما فعله الأول فكانت النتيجة النسيان، وقد وقعت المقابلة بين معنيين: (قام، ولم يقم)، بالمعنيين (ذكره، ونسيه)، والذي قوى هذه الدلالة اجتماع الشرط بـ(إذا، وإن) بُغية ترتيب النتائج على مقدماتها؛ فإذا كان كذا، كانت النتيجة كذا، وذلك كله تأكيد للمعنى وتقريره وترسيخ له في نفس المتلقي.

(١) صحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الأمر بتعهد القرآن، وكراهة قول نسيت آية كذا، وجواز قول أنسيتها، حديث رقم (٧٨٩)، ج١/ ٥٤٤.

ومما دعم صورة المقابلة أن أتى النبي ﷺ بما يُقوي جانبها ويشدُّ من أزرها فاستخدم أسلوبا بلاغيًّا آخر وثيق الصلة بها وهو مُراعاة النظير بين الليل والنهار في قوله: «بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ» ليُؤكد على فضل قراءة القرآن والمواظبة عليها ليل نهار حتى يتثنى التذكر للآيات دفعًا للنسيان، وفي التعبير بـ « صَاحِبُ الْقُرْآنِ» دلالة على شرف المُصاحبة ولزومها، فهما ملتصقان لا يفترقان، وهي لا شك منزلة عظيمة ينبغي على المؤمن ألا يتنازل عنها، وعليه بلزوم مصاحبة القرآن في جميع أوقاته، وفيه تنبيه على فضل قيام الليل وشرفه، وعظم أجره، والمقابلة من الأساليب البديعية التي وردت في أحاديثِ فضائل القرآن متعاضدةً مع غيرها من الأساليب البلاغية التي استخدمها النبي ﷺ بُغية التوصيل والتأثير في المخاطبين.

***

المبحث الثاني
بلاغة أحاديث فضائل بعض سور القرآن وآيه

تنوعت الأحاديث النبوية التي جاءت في بيان فضائل بعض سور القرآن وآيه؛ فمنها ما جاء لبيان فضل بعض السور؛ كسورة الفاتحة، وسورة البقرة، والكهف، وسورة الإخلاص، وذلك مما ورد في الصحيحين، ومنها ما ورد في بيان بعض آي القرآن الكريم، كفضل آية الكرسي، والآيتين من أواخر سورة البقرة، وأوائل سورة الكهف أو أواخرها، وكان المقصد من ذلك التنبيه على فضائل هذه السور لما اختصت به من فضل زائد على ما دونها من السور والآي الأخرى في الأجر والثواب، وقد عبَّر النبيﷺ عن هذا الغرض بأسلوب بياني تعاضدت فيه مجموعة من الصور البلاغية التي تشابكت فيما بينها مكونة شبكة من العلاقات الداخلية التي أسهمت بدورها في إيضاح الصورة الكلية التي جاء بها الحديث النبوي في هذا الباب، وبالمثال يتضح الأمر.

أولا: فضل قراءة سورة الفاتحة:

سورة الفاتحة سورةٌ مكيّة، وهي السورة الأولى ترتيبًا في المصحف، ولذلك بدأ بها البحث بالإشارة إلى بيان فضلها، أمَّا عدد آياتها فسبعٌ مع البسملة، وتعدُّ سورة الفاتحة من المثاني، وقد ورد العديد من الفضائل في شأنها وبين ذلك النَّبِيُّ ﷺ.

ومن الأحاديث التي وردت في هذا الشأن؛ ما ورد عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ المُعَلَّى، قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي، فَدَعَانِي النَّبِيُّ ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، قَالَ: « أَلَمْ يَقُلِ اللهُ: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾، ثُمَّ قَالَ: «أَلاَ أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ» ، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَدْنَا أَنْ نَخْرُجَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّكَ قُلْتَ: «لَأُعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ مِنَ القُرْآنِ» قَالَ: ﴿الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾، هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ»(١).

(١) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف، وآية الكرسي حديث رقم: ٨١٠، ١/ ٦٥٥.

في هذا الحديث النبوي ظهرت مجموعة من الصور البلاغية التي عملت على إيصال غرض النبي ﷺمن بين تلك الصور؛ هذا الحوار الذي دار بين النبي ﷺ وأَبي سعيد بن المُعلى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ توجيهًا وإرشادًا وترفقًا منه ﷺ وقد جاء هذ التوجيه على هذه الهيئة من البيان العالي؛ فخرج أسلوب الاستفهام فيه من معناه الحقيقي إلى معنى مجازي هو التقرير، وذلك في قوله: «أَلَمْ يَقُلِ اللهُ: اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ؟» هذا الأسلوب مهد للصحابي الجليل وأثار في نفسه استشرافًا لما سُيلقى عليه لاحقًا مما جعله يُصِرُّ على معرفة ما وراء هذه الدعوة، وأخذت تحدثه نفسه بالخير الوفير الذي ينتظره منها، متشوقًا إلى معرفة السبب الذي دعا رسول الله ﷺ أن يختصه بهذا الشرف العظيم وأن يكون طرفًا في الحوار معه.

ولأن الصحابي الجليل لم يشغله عن تلبية النداء شاغل من أمر الدنيا، وإنما كان يصلي، وأنه لم يُجِبْ رسول الله ظنًا منه أن إجابة رسول الله واجبة خارج الصلاة؛ لأنه ﷺكان قد منعهم من الكلام في الصلاة ومن قطعها، ومن الواضح أن الصلاة الي كان يصليها كانت غير الصلاة المكتوبة، أي إنها كانت صلاة النافلة؛ بدليل ما ورد في مناسبة هذا الحديث؛ حيث قال أبو سعيد بن المعلى: «كنا نغدو إلى السوق على عهد رسول الله ﷺ فنمر على المسجد فنصلي فيه، فمررنا يومًا ورسول الله ﷺ قاعدٌ على المنبر، فقلت لقد حدث أمرٌ، فجلست، فقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا} [البقرة: ١٤٤] حتى فرغ من الآية، فقلت لصاحبي: تعالَ نركع ركعتين قبل أن ينزل رسول ﷺ فنكون أول من صلى، فتوارينا بعمادٍ فصليناهما، ثم نزل رسول ﷺ فصلى للناس الظهر يؤمئذ»(١).

ثم لما أنهى أبو سعيد بن المعلى صلاته بادر معتذرًا بقوله: « قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي»، فأراد النبي ﷺ أن يعلمه أن إجابته واجبة داخل الصلاة وخارجها وتلك خصوصية لهﷺ، كما أراد أن يُدلَّهُ على سبيل آخر من سُبل الخير بيانًا لفضل القرآن

(١) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ٧/ ١٨٥.

وتنويهاً على عظم شأنه؛ فعبَّر بأسلوب الاستفهام الذي أثار التشويق؛ فكان أدعى إلى الاستماع وحُسن الإصغاء فقال ﷺ: «أَلاَ أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ» وذكر له ذلك بطريق العرض المعبر عنه بقوله:«أَلاَ ؛ ليكون ذلك أدعى إلى الإصغاء، واسترعاء الانتباه، مع ما فيه من التشويق، وقوله: «أُعَلِّمُكَ» أي أخبرك، وقوله: «قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِد» قِيلَ:« لَمْ يُعْلِمْهُ بِهَا ابْتِدَاءً لِيَكُونَ ذَلِكَ أَدْعَى لِتَفْرِيغِ ذِهْنِهِ وَإِقْبَالِهِ عَلَيْهَا بِكُلِّيَّتِهِ»(١)، فقال له ﷺ :«الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» هي السَّبعُ المَثاني، والقُرْآنُ العَظيمُ الَّذي أُوتيتُه»، أي: أنَّ السُّورةَ التي هي أفضَلُ سُوَرِ القُرْآنِ وأعظَمُ شَأنًا: هي سورةُ الفاتِحةِ، التي قال اللهُ تعالى فيها: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ [الحجر: ٨٧]، والسِّرُّ في تَسْمِيَتِها السَّبع المَثَانِيَ؛ أنَّها سَبعُ آياتٍ تُثَنَّى أي: تَتكرَّرُ قِراءتُها في كلِّ رَكعةٍ، وفي كلِّ صَلاةٍ، وكذا سمَّاها القُرآنَ العَظيمَ؛ لاشتِمالِها – معَ وَجَازَتِها- على أهمِّ مَقاصِدِ القُرْآنِ الكَريم: مِن إثْباتِ التوحيدِ، والنبوَّةِ، والعِبادةِ المُتضمِّنةِ لأركانِ الإسلام، وقوله: «وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ» من باب الوصل؛ حيث وصَلَ بينهُما عن طريقِ عَطفِ «الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ» عَلَى السَّبْعِ عَطْفُ صِفَةٍ عَلَى صِفَةٍ، وَقِيلَ: هُوَ عَطْفُ عَامٍّ عَلَى خَاصٍّ، أَي الذي خُصصْتُهُ بِالإعطَاءِ.

ويتجلى تلطفِ رسول الله بالصحابي الجليلِ وعظيم أخلاقه وترفقه في حديثه معه فلا عجبَ وهو النبي القدوة ﷺ، وهذا ما بدا واضحًا في هذا الحديث النبوي؛ والمفهوم من قوله: «فَأَخَذَ بِيَدِي» فربما لَمَسَ رسولُ اللهِ شيئًا من الرَّهْبةِ قد علتْ وجهَ الصحابيِّ الجليلِ خوفًا من أن يكون قد أساءَ الأدبَ مع رسول الله ﷺ بتأخرهِ عن تلبيةِ ندائهِ؛ فأراد ﷺ أنَ يُطَمْئِنَ قلبهُ ويُهدئ روعه؛ فأخذ بيدهِ وجعلا يخرجانِ من المسجدِ، فالتعبير بقوله: «فَأَخَذَ بِيَدِي» كنايةً عن كمالِ ترفقهِ ﷺ بالصحابي، وتواضعه البالغ؛ فقد كانَ ﷺ مُعلِّمًا رَحيمًا، وكان إذا رَأى خَطأً لا يُعنِّفُ عليه، ولا يُنفِّرُ منه، وإنَّما يُوجِّهُ ويُعلِّمُ، وفي

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح : علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، ٤/ ١٤٥٩، دار الفكر، بيروت – لبنان ، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

المقابل إذا رَأى صَوابًا مدَحَه، وأثْنى عليه، وشكَرَ لصانعهِ، وهي صورة من صُورِ التربيةِ السليمةِ (التربية بالقدوة) التي رسَّخَها النبي ﷺ في تعاملِ الدَّاعِي والمعلمِ مع أتباعهِ ومَنْ يتولى نُصحَهم وتقويمَهم.

ولمزيد من الإقناع والإمتاع عن طريق التشويقِ وجذب الانتباه جاء قوله: «أَلاَ أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ» ... «الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ» على سبيل الإطناب في القول بالإيضاح بعد الإبهام والتفصيل بعد الإجمال فجاء التشويق مقترنًا بالاستفهام التقريري الذي جلَّى المعنى وقَوَّى منه .

دعم ذلك حذف المسند إليه في قوله: «الحمد لله رب العالمين» فالجملةُ خبر لمبتدأ محذوف تقديره «أعظم سورةٍ الحمد لله رب العالمين»؛ للمبادرة إلى المطلوب، كما أنه مفهوم من السياق لذكره في السؤال؛ وهو معرفة أعظم سورة في القرآن لأنه الأهم.

ومما أسهم في مزيد من البيان حذف المسند في قوله: « وَالقُرْآنُ العَظِيمُ »، والتقدير: ما بعد الفاتحة، فوصف الفاتحة بـ«السبع المثاني» ثم عطف عليها قوله: «وَالقُرْآنُ العَظِيمُ » أي ما زاد على الفاتحة، وحذف المسند هنا لدلالة السياق عليه.

***

- ومن الأحاديث النبوية التي وردت في بيان فضل سورة الفاتحة ما جاء عن أبي هُرَيرةَ عن النبي ﷺأنه قال: «مَن صَلَّى صَلاةً لَمْ يَقْرَأْ فيها بأُمِّ القُرْآنِ فَهي خِداجٌ ثَلاثًا غَيْرُ تَمامٍ»(١).

لأجل بيان الغرض الذي سيق من أجله هذا الحديث أسهمت كثير من العناصر البلاغية التي وضحته؛ أبرزها صورة التشبيه التمثيلي التي بُني عليها هذا الحديث حيث

(١) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، وإنه إذا لم يحسن الفاتحة، ولا أمكنه تعلمها قرأ ما تيسر له من غيرها، حديث رقم (٣٩٥)، ١/ ٢٩٦.

جاء من قبيل التشبيه التمثيلي مما كان أصله المبتدأ والخبر من غير صيغة التمثيل «مثل وغيرها» حيث شبه هيئة الصلاة التي لم يُقرأ فيها بأم الكتاب «سورة الفاتحة» بهيئة الإبل التي تضع وليدها ناقص الخِلقة قبل أوانه فهو الخِدَاج، بجامع النقصان في كلٍّ، إذ لحق النقصان بالصلاة التي لم يقرأ فيها صاحبها الفاتحة، كما لحق بالخديج من ولد الناقة الذي لم يكتمل نموه وَوُلِدَ ناقصًا قبل موعدِ ولادتهِ. دعم ذلك قوله: «ثَلاثًا» بتكرارها ثلاث مرات؛ تأكيدًا على أهميتها؛ فقراءة الفاتحة للإمام والمنفرد ركن من أركان الصلاة.

وفي التعبير بالمصدر«خِدَاج» ما يُفيد المبالغة في الوصف، وهذه الصورة من التشبيه التمثيلي شبه فيها الأمر العقلي (النقص الحاصل في الصلاة بخلوها من قراءة سورة الفاتحة) بصورة محسوسة مُشاهدة لدي العربي البدوي الذي يُعاينها كثيرًا بسبب ارتباطهِ بالإبلِ في جميعِ شئونهِ فكان ذلك أدعى للتأثيرِ في السامعِ، وأبقى أثرًا في النفس، إذ تتوقفَ مدى الفائدة من التمثيل على براعة المتكلم في التصوير لكي يُطابق الفكرةَ التي يريدُ إيضاحها وتثبيتها في الأذهان.

ومما دعم هذه الصورة التشبيهية أنْ نصَّت على ذكر المسند إليه؛ وذلك زيادة في إيضاحه وتقريره في ذهن السامع؛ وذلك في قوله: «فَهي خِداجٌ» وعُرِّف بالضمير؛ لأن المقام تطلبه، لكون المسند إليه مذكورًا في الكلام وهو «الصلاة» في قوله: «مَن صَلَّى صَلاةً» لذا آثر التعبير به مضمرًا، وقوله: «فَهي خِداجٌ ثَلاثًا» بتكرارها ثلاث مرات ما يُفيد التشديد والتأكيد على أهميتها؛ فإن قراءة الفاتحة للإمام والمنفرد ركن من أركان الصلاة تبطل الصلاة بتركه، وبالنسبة للمأموم؟.

دعم تلك الأهمية قوله: «غَيْرُ تَمام» أي غير تامة، وهو من التذييل[1] بغية التأكيد على كون الصلاة ناقصة لمن لم يصلِّ بأم الكتاب(« سورة الفاتحة).

(١) ذكر أبو هلال العسكري قوله: «فأما التذييل فهو إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى بعينه حتى يظهر لمن لم يفهمه ويتوكد عند من فهمه، وهو ضد الإشارة والتعريض. وينبغى أن يستعمل فى

ثانيا: فضل قراءة سورة البقرة ونزول الملائكة لقراءة القرآن:

سُورَةُ البَقَرة هي أطول سور القرآن الكريم وترتيبها الثاني في المصحف الشريف بعد سورة الفاتحة، وقيل هي أول سورة نزلت في المدينة، كما يطلق عليها فسطاط القرآن؛ وذلك لعظمتها وبهائها، وكثرة أحكامها ومواعظها، وورد في فضلها عامة وفضل بعض الآي فيها كآية الكرسي، وخواتيم السورة أحاديث كثيرة تؤكد على هذا الفضل حثًا على تلاوتها والتماس بركتها ونيل أجرها. ومن أمثلة ذلك مما ورد في فضل سورة البقرة كاملة:

ما جَاءَ عَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ أَنَّهُ قَالَ: « بَيْنَمَا هُوَ يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ سُورَةَ البَقَرَةِ، وَفَرَسُهُ مَرْبُوطَةٌ عِنْدَهُ، إِذْ جَالَتِ الفَرَسُ فَسَكَتَ فَسَكَتَتْ، فَقَرَأَ فَجَالَتِ الفَرَسُ، فَسَكَتَ وَسَكَتَتِ الفَرَسُ، ثُمَّ قَرَأَ فَجَالَتِ الفَرَسُ فَانْصَرَفَ، وَكَانَ ابْنُهُ يَحْيَى قَرِيبًا مِنْهَا، فَأَشْفَقَ أَنْ تُصِيبَهُ فَلَمَّا اجْتَرَّهُ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، حَتَّى مَا يَرَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ حَدَّثَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ، اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ، قَالَ: فَأَشْفَقْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَنْ تَطَأَ يَحْيَى، وَكَانَ مِنْهَا قَرِيبًا، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَانْصَرَفْتُ إِلَيْهِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ المَصَابِيحِ، فَخَرَجَتْ حَتَّى لاَ أَرَاهَا، قَالَ: «وَتَدْرِي مَا ذَاكَ؟»، قَالَ: لاَ، قَالَ: «تِلْكَ المَلاَئِكَةُ دَنَتْ لِصَوْتِكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْهَا، لاَ تَتَوَارَى مِنْهُمْ»(١).

ولإظهار الغرض الذي أراد النبيﷺ بيانه وإيصاله للمتلقين تلاقت مجموعة من الأساليب البلاغية التي عملت على إيضاح غرضه؛ فكان هذا الحديث في بيان فضل

المواطن الجامعة والمواقف الحافلة، لأن تلك المواطن تجمع البطئ الفهم، والبعيد الذهن، والثاقب القريحة، والجيد الخاطر، فإذا تكررت الألفاظ على المعنى الواحد توكد عند الذهن اللقن وصح للكليل البليد»- ينظر/ كتاب الصناعتين، الشعر والنثر: أبو هلال العسكري، تح/ علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، ٣٧٣، ، المكتبة العنصرية – بيروت، ١٤١٩هـ.

(١) رواه البخاري: كتاب فضائل القرآن، بَابُ نُزُولِ السَّكِينَةِ وَالمَلاَئِكَةِ عِنْدَ قِرَاءَةِ القُرْآنِ، حديث رقم (٥٠١٨)، ٦/ ١٩٠، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب نزول السكينة لقراءة القرآن، حديث رقم (٧٩٦)، ١/ ٥٤٨.

سورة البقرة كما نصَّ الحديث عليه؛ بقوله: «بَيْنَمَا هُوَ يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ سُورَةَ البَقَرَةِ»، وفي رواية أخرى من حديث البَراء: «إنه كان يقرأ سورة الكهف»، وقد قيلَ: «إن الرجل الذي كان يقرأها هو أسيد بن حضير، قال الكرماني: لعله قرأهما يعني السورتين: الكهف والبقرة، أو كان ذلك الرجل هو غير أسيد ابن حضير، هذا هو الظاهر»(١). وسواء كان الحديث في فضل قراءة سورة البقرة أو الكهف أو كليهما معًا؛ فإنه سيق لبيان إحدى فضائل القرآن وفضل سورة البقرة على الخصوص، التي هي دليل قدسية المقام ونورانية الحال التي دعت الملائكة إلى الدنو من القارئ، ولو زاد في قراءته لأصبح الناس يرونها رؤيا العين، وتلك حال عجيبة وفضيلة عظيمة.

ولذلك فقد ورد الحديث للحَضِّ والحَثِّ على الاستزادة من قراءة القرآن لما وجد لها من أثر طيب حال استمرارها، وكان ذلك في الزمن الماضي؛ لأنَّ الحديثَ حكايةُ حالٍ في الزمن الماضي ولم تكن لتستمر بعد أن فرغ الصحابي من قراءته تلك، وانتظر طلوع الصبح حتى أتى نبي الله ﷺ وأخبره بما كان من أمره.

وعليه فإن قوله: «اقرأ» ليس أمرًا له بالقراءة في الحال، وإنّما هو تصوير لتلك الحالة، فهو كحكاية الأمر في الحال الماضية، «معناه كان ينبغي أن تستمرَ على القراءة وتغتنم ما حصل لك من نزول السكينة والملائكة، فتستكثر من القراءة التي هي سببها... و(اقرأ) أمر طلب للقراءة في الحال، ومعناه تحضيض وطلب للإستزادة في الزمان الماضي، أي هلاّ زدت. كأنه ﷺ استحضر تلك الحالة العجيبة الشأن فأمره تحريضًا عليه»(٢)، والدليل

(١) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح:٧/ ١٨٢.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بالكاشف عن حقائق السنن: للإمام شرف الدين الحسين بن عبد الله بن محمد الطيبي، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، ٥/ ٥٣٧، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة- الرياض، ط ١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، عقود الزبرجد على مسند الإمام أحمد: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تح/ حسن موسى الشاعر، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، عدد ٦٧/ ١١٣.

على أن المراد من الأمر الاستزادة وطلب دوام القراءة والنهى عن قطعها قوله في الجواب: «أَشفقتُ يا رسول الله» أي خفت إن دُمْتُ عليها أن تطأ الفرسُ ولدي يحي.

ولما كان الأمر في معناه الحقيقي هو طلب حدوث الفعل على جهة الاستعلاء، وجهة الاستعلاء هذه تقضي الوجوب، فقد خرج الأمرُ من معناه الحقيقي إلى معنى مجازي آخر تَطَلَّبَهُ السِّياقُ والمَقامُ؛ حيث جاء تكرار الفعل «اقرأ» للحضّ والترغيب على القراءة، وفي تكرار قوله ﷺ «اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ» فإن هذا التركيبُ يُعدُّ من الإطنابِ بالتَّكرارِ؛ لإبراز غرضه ﷺ في التأكيد على هذه المنزلة العظيمة والتنويه بشأن هذه الحال العجيبة التي نزلت لأجلها الملائكة، ومن المعلوم أن هذا الأسلوب وسيلة من وسائل الدعوة والتعليم والتوجيه، وكان النبي ﷺ يستخدمه في الأمور المهمة للعناية بها تنبيهًا على عِظَمِ الحدثِ وفضلهِ ترسيخًا له في الأذهانِ.

والتعبير بقوله: «تِلْكَ المَلاَئِكَةُ دَنَتْ لِصَوْتِكَ» كناية عن حُسن صوت أُسيد بن حُضير رضي الله عنه، بدليل قوله ﷺ: «دَنَتْ لِصَوْتِكَ» أي نزلت وقَرُبت بالقراءة، وفي رواية مسلم «كانت تستمع لك»، وهذا التعبير فيه إشارة إلى الباعث على استماع الملائكة لقراءته. وهذا الفضل العظيم الذي جعل الملائكة تتنزل ومعها الرحمة وجعلها تستغرق في الاستماع للقراءة، ولو أن أسيدًا استمر في قراءته حتى الصباح؛ لظلت الملائكة على حالها حتى يراها الناس لا تتوارى منهم؛ إنما كان بسبب تلك القراءة المخصوصة، من سورة مخصوصة، في وقت مخصوص، وبهذا الاختصاص ثبتت مجموعة من المناقب والفضائل، منها «فضل قراءة سورة البقرة في صلاة الليل، وفضل الخشوع في الصلاة، وإن التشاغل بشيء من أمور الدنيا ولو كان من المباح قد يفوت الخير الكثير فكيف لو كان بغير المباح»[1]، كما أن الحديث فيه منقبة لأسيد بن حضير للإشارة إلى ما أتاه الله من خير عظيم، وهذه المكانة التي دعت الملائكة إلى النزول لسماع قراءته.

***

(١) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ٧/ ١٨٣.

- ولمزيد التأكيد على الدعوة إلى تحصيل جملة من فضائل القرآن، حضَّ النبي ﷺ على قِراءةِ القُرآنِ، وحث على كَثْرةِ الذِّكرِ فِي البُيوتِ، لأنهما دليلا خير؛ فبهما تحيا وتعمرُ البُيوتُ والقُلوبُ.

فمن الأحاديث التي وردت في هذا المجال مَا جَاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَجْعَلُوا بِيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ»(١).

هذا الحديث اجتمعت فيه طائفة من الصور البلاغية ذات الأثر البين في بيان الغرض الذي سيق من أجله؛ حيث استهله النبي ﷺ بما يؤكدُ على بيانِ فضلِ القرآنِ مُعبراً عن ذلك بأسلوبِ النهي لغرض النُّصحِ والإرشادِ بقرينةِ السِّياقِ والمقامِ، فقال: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمِ مَقَابِرَ» فالنهي هنا عن هجر القرآن، والمقصودُ: لا تجعلوها خالِية مِنَ الذِّكرِ والطَّاعةِ وقراءة القرآن؛ فتكونُ كالمَقابِرِ وتكونون كالمَوتى فِيهَا، فالنهيُّ هنا جاء للتنفيرِ من هجر القرآن وعدم قراءته في البيوت، والحثِّ على قراءته فيها، جاء التَّعبير بأسلوب النهي الذي خرج من معناه الحقيقي إلى معنى مجازي آخر هو النصح والإرشاد في الخطاب في أحاديث فضل القرآن مُقترنًا في غالبِ الأمرِ بالصورةِ التشبيهيةِ التي توضحه وتزيده بيانًا، مما كان له أثر في النفوسِ حاملًا لها على الإذعانِ والتَّصديقِ.

وهنا يتآزر أسلوبُ النهي مع أسلوب التشبيهِ الذي دَعَّمَ الخطابَ التَّواصلي التعليمي وَمثَّلَ الصورةَ حاضرةً أمام الأعين ليستقر المعنى في الأذهان؛ حيثُ صورة التشبيه التمثيلي التي شبه فيها حال البيت الذي هُجر فيه القرآن بحال المقبرة لا يُقرأ فيها القرآن؛ لموت ساكنيها وما فيها من وحشة ورهبة؛ وذلك تصويرٌ يُنفِّرُ من خرابِ هذه البيوتِ ودَمارِها لخلوها من ذكرِ اللهِ وقراءةِ القرآن.

(١) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته، وجوازها في المسجد، رقم ٧٨٠، ١/ ٥٣٩.

وأمَّا قَوْلهُ: « مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ» فالصورةُ كنايةٌ عن يأسِ الشيطان مِنْ إغوَاءِ أَهلِ ذلك البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة ببركةِ هَذِهِ السُّورَةِ وغيرها من السُّور؛ إذ ليس المقصودُ قصرَ القراءة على سورة البقرة فقط، وإنما يحصلُ الفضلُ بقراءة أي سورة من القرآن، وَلكن خَصَّ سُورَةَ البَقرةِ بِذلِك الفضل؛ لِطُولِهَا، وكَثرةِ أسماءِ اللهِ- تَعَالَى- وَالأَحكَامِ فِيهَا، وَقَد قِيلَ: فيها ألفُ أمرٍ وألفُ نهي وألفُ حُكمٍ وألفُ خَبَر.

- **فضل قراءة آية الكرسي:**

آية الكرسي هي الآية رقم(٢٥٥) من سورة البقرة، وهي أعظم آية في القرآن الكريم، كما وَضَّحَ النبي ﷺ لأنها اشتملت على جملة من الفضائل، وقد أكدَّ النبي ﷺعلى عظيم فضلها مُنوِّها بشأنها وجليل قدرها، فمن أمثلةِ ما جاء من الأحاديث النبوية التي وردتْ في هذا الشأن؛ ما جاء عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رَسُولُ اللهِ ﷺ قالَ لهُ : «أَبَا الْمُنْذِرِ أَيُّ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟ قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: أَبَا الْمُنْذِرِ أَيُّ آيَةٍ مَعَكَ مِنْ كِتَابِ اللهِ أَعْظَمُ؟ قُلْتُ: {اللهُ لَا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ القيوم}. قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ»(١).

جاء هذا الحديث الشريف مشتملًا على مجموعة من الصور البلاغية التي أسهمت في بناء المعنى الكلي للحديث؛ كان أبرزها أسلوب الحوار الذي بُني عليه، بما له من جوانب إيجابية فى مجال الدعوة، ثم جاء النداء مقترنًا مع أسلوب الاستفهام، لغرض التنبيه وتهيئة المخاطب وتشويقه إلى الخبر الذي سيُلقَى عليه، وهو أسلوب من الأساليب التي آثر النبي ﷺ استخدمها في مجال الدعوة وتبليغ الرسالة والتواصل مع الآخرين، فأول ما يطالعنا في هذا الحديث اقتران النداء مع أسلوب الاستفهام حيث الاستهلال بالنداء؛ لتنبيه المخاطب ليقبل عليه بكُلِّيَّتِهِ، ويُهيئه لاستقبال الخبر فقال ﷺ:

(١) صحيح مسلم:كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف، وآية الكرسي، حديث رقم(٨١٠)، ١/ ٦٥٥.

«يا أبا المُنذِر» كنية أُبي بن كعب ﷺ وكان ممن حفظ القرآن كله في زمن النبي ﷺ، وناسبه التعبير بقوله: «معك» حيث جاء مُبيِّنًا لِما كان يحفظه أُبي بن كعب من كتاب الله، وذلك أَنَّ «مع» كلمة تدل علي المصاحبة.

والسؤال من النبيﷺ حرك في نفس الصحابي شغفًا للبحث عن إجابة له، وسرعان ما وقعت الإجابة في نفسه، لكنه لم يبادر بها رسول الله ﷺ أدبًا واحترامًا، ولكن لما كرر النبي ﷺ السؤال مرة أخرى أدرك أنه يطالبه بالجواب، ويريد امتحان حفظه ودرايته، فأجابه قائلًا: «قُلْتُ: {اللهُ لَا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ القيوم}»، قال الطيبي: «سؤاله عليه الصلاة والسلام من الصحابي قد يكون للحث على الاستماع، وقد يكون للكشف عن مقدار علمه وفهمه، فلما راعى الأدب أولا ورآى أنه لا يكتفي به علم أن المقصود استخراج ما عنده من مكنون العلم، فأجاب»(١).

وإنما تميزت آية الكرسي بكونها أعظم؛ قال النووي « لِمَا جمعت من أصول الأسماءِ والصفاتِ من: الإلهية والوحدانية والحياة والعلم والملك والقدرة والإرادة وهذه السبعة أصول الأسماء والصفات والله أعلم»(٢).

وفي تعبير الصحابي الجليل بقوله: «فَضَرَب» أي النبي ﷺ «في صدري» يُبرهن على أن فعله هذا دليل محبة، وهذا الفعل منه فيه من التلطف ما فيه؛ لرضاه بهذه الإجابة، وموافقته عليها، مع إعجابه بالمُجيب، والنبي ﷺ آثر استخدام حرف الجر «في» لأن الصدر ظرف جُعل وعاءً لحفظ القرآن ومَحَلًّا له، وفيه إشارة إلى امتلاء صدره علمًا وحكمة، ناسب ذلك دعاء النبي ﷺ له بقوله: « لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ» أي ليكن العلم هنيئًا لك وهذا دعاء له بتيسير العلم ورسوخه فيه، فمعناه الدعاء وحقيقته إخبار علي

(١) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ٧/ ١٩١.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم : المسمى المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، ١/ ٩٤، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٢، ١٣٩٢ه.

سبيل الكناية عن صفة بأنه راسخ في العلم، ويؤخذ منه تبجيلُ العالِم، وهذا الدعاء منقبة عظيمة لأُبَيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والذي يؤيد ذلك قول النَّبِيَّ ﷺ في حديث آخر: «خُذُوا القُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَسَالِمٍ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ»(١)، فهذا لا شك شرف عظيم حازه أُبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ودليل على كثرةِ علمهِ وفضله.

فضل قراءة الآيتين من آخر سورة البقرة:

اختصت هاتان الآيتان بحظٍ كبيرٍ من الفضائل لاشتمالهما على الإيمان بالله ورسوله وملائكته وكُتبه واليوم الآخر، وفيهما مطلق التفويض والتسليم لأوامر الله، والدعاء بهما متضمن لخيرى الدنيا والآخرة وتجزآن في قيام الليل، وهذه الفضائل الجليلة وضحها وفصلها النبي ﷺفي أحاديثه، وكان من بينها هذا الحديث الذي ورد عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ»(٢).

في هذا الحديث الشريف اجتمعت كثير من الصور البلاغية التي كان لها الأثر البَيِّن في إيضاح غرض النبي ﷺ كان أبرزها صورة الإيجاز بالحذف ليجعل النفس تذهب إلى تقدير المحذوف أي مذهب؛ فتتكاثر المعاني وتتنوع الفائدة، ويتعاظم الأجر والثواب؛ فإن قوله ﷺ :«كفتاه» في نهاية الحديث من إيجاز الحذف؛ فلسائل أنْ يسأل: كفتاه ماذا؟ وهنا وقع الحذف؛ حيث حذف أكثر من جملة فدل بقليل الألفاظ على كثير المعاني أي: أجزأتا عنه في قيام الليل بالقرآن، أو دفعتا عنه أي مكروه في تلك الليلة، وقيل: «أجزأتا عنه عن قراءة القرآن مطلقًا سواء كان داخل الصلاة أم خارجها، وقيل: معناه أجزأتاه فيما يتعلق بالاعتقاد لما اشتملتا عليه من الإيمان والأعمال إجمالًا وقيل معناه كفتاه كل سوء، وقيل: دفعتا عنه شر الإنس والجن، وقيل: معناه كفتاه ما حصل له بسببهما من

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، بَابُ القُرَّاءِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم: ٤٩٩٩، ٦/ ١٨٦.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب فضائل القرآن، بَابُ فَضْلِ سُورَةِ البَقَرَةِ، رقم (٥٠٠٩)، ٦/ ١٨٨، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل الفاتحة، وخواتيم سورة البقرة، والحث على قراءة الآيتين من آخر البقرة ، رقم (٨٠٧) باختلاف يسير، ١/ ٥٤٤.

الثواب عن طلب شيء آخر، وكأنهما اختصتا بذلك لما تضمنتاه من الثناء على الصحابة بجميل انقيادهم إلى الله وابتهالهم ورجوعهم إليه، وما حصل لهم من الإجابة إلى مطلوبهم»[(١)]. ومجيء هذه الصورة من الإيجاز كثيرة في أحاديث رسول الله ﷺ ؛ ذلك أن من أهم ما يميز البيان النبوي قلة حروفه وكثرة معانيه؛ وذلك لأنه «جلَّ عن الصنعة ونزه عن التكلف،... واستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر...»[(٢)]، فالإيجاز خصيصة من الخصائص البلاغية التي امتازت بها الأحاديث النبوية، والتي تأتي بالمعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة.

وقد جاءت هذه الصورة من الحذف واقعة ضمن جملة الجزاء والجواب بغية تأكيد الخبر وتقريره، في قوله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ»، ومجيء الحديث قائمًا على جملة الشرط أدعى في تأكيد وتقرير معناه.

***

ثالثًا: فضل قراءة سورة الكهف:

ورد في التنبيه على فضل قراءة سورة الكهف وحفظ بعض آياتها وتدبرها من الأحاديث ما يؤكد على ذلك؛ فمن تلك الأحاديث ما جاء عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي- ﷺ - أنه قال: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الكَهْفِ، عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ»[(٣)].

(١) فتح الباري: ابن حجر العسقلاني، كتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة البقرة، ٩/ ٥٦، ومرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري ت ١٤١٤هـ، ٧/ ١٩٨، نشر: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية - بنارس الهند، ط٣، ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤م.

(٢) البيان والتبيين : الجاحظ، ، ٢/ ٨، ٢/ ١٧.

(٣) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف، وآية الكرسي رقم الحديث: (٨٠٩)، ١/ ٥٥٥.

ولبيان الغرض الجليل الذي أراد النبيﷺ تبليغه اتحدت جملة من الأساليب البلاغية فيما بينها وعملت على بيانه، حيث استهل الحديث بالأسلوب الخبري الذي حمل في طيَّاته جملة شرطية رتبت النتيجة الحاصلة على مقدمتها، فجاء الحديث مترابطًا ربطًا محكمًا متناسق الأجزاء؛ ذلك أنَّ قوله: «مَنْ حَفِظَ ... » أي من حفظ عن ظهر قلبٍ عشرَ آياتٍ من أولِ سورة الكهف، أو من آخرها، على روايتين، حفظه الله تعالى من شرِّ الدجال، وفتنته، فلا يتسلط عليه ولا يضره بإذن الله تعالى، قيل: والسبب في ذلك مَا في هذه الآياتِ مِنَ العَجائبِ والمُعجِزاتِ. وقد جاء الإخبار بهذا الفضل العظيم دون الحاجة إلى مؤكدات تدل على صدق النبي ﷺ، أو تُوحِي أنَّ المخاطب شاكٌّ أو مُنكر للخبر؛ هذا لأن المخَاطب خالي الذهن من مضمون الخبر تمامًا فناسبه أن يُلقى إليه الخبرُ ابتدائيًّا، وتلك من مراعاة الحال، وهي جانب من بلاغته ﷺ.

رابعا: فضل قراءة سورة الإخلاص « قل هو الله أحد»:

من أمثلة ذلك ما ورد عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: «أَمَا يَسْتَطِيعُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ؟ قَالُوا: نَحْنُ أَعْجَزُ وَأَضْعَفُ، قَالَ: أَمَا يَسْتَطِيعُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ كُلَّ لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟ قَالُوا: نَحْنُ أَعْجَزُ وَأَضْعَفُ، قَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ : « إِنَّ اللهَ تَعَالَى جَزَّأَ الْقُرْآنَ ثَلاثَةَ أَجْزَاءٍ فَجَعَلَ {قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ} جُزْءًا مِنْ أَجْزَاءِ الْقُرْآنِ»(١).

في هذا الحديث النبوي تآزرت مجموعة من العناصر البلاغية التي أبانت عن غرض النبي ﷺ ذلك أن الحديث جاء تأكيدًا على بيان فضل سورة الإخلاص «قل هو الله أحد» وعظيم منزلتها عند الله سبحانه؛ لأنها اشتملت على التوحيد ونفي الشرك إذ «تضمنت توجيه الاعتقاد وصدق المعرفة وما يجب إثباته لله من الأحديَّةِ المُنافيةِ لمطلق الشَّرِكة والصمدية المثبتة له جميع صفات الكمال الذي لا يلحقه نقص، ونفي الولد والوالد

(١) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة قل هو الله أحد، حديث رقم(٨١١)، ١/ ٥٥٦.

المقرر لكمال المعنى، ونفي الكُفِّء المتضمن لنفي الشبيه والنظير، وهذه مجامع التوحيد الاعتقادي ولذلك عادلت ثلث القرآن؛ لأنَّ القرآن خبر وإنشاء، والإنشاء أمر ونهي وإباحة، والخبر خبر عن الخالق، وخبر عن خلقه، فأخلصت سورة الإخلاص الخبر عن الله وخَلَّصَت قارئها من الشرك الاعتقادي)[1].

استُهِل الحديث بأسلوب الاستفهام الذي أحدث تشويقًا لدى السامعين وأثار فيهم استشرافًا لتلقي الإجابة؛ فقال: «أَمَا يَسْتَطِيعُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ؟ قَالُوا: نَحْنُ أَعْجَزُ وَأَضْعَفُ»، ثم كرر السؤال مرة أخرى، ولكن مع تقديم المضاف والمضاف إليه: «كُلَّ لَيْلَةٍ»، وتأخير المفعول به: ثلث»، وهم يجيبون الإجابة نفسها: «قَالَ: أَمَا يَسْتَطِيعُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ كُلَّ لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟ قَالُوا: نَحْنُ أَعْجَزُ وَأَضْعَفُ»، وفي تكارهم للإجابة إقرار منهم بعجزهم عن أن يقرأوا ثلث القرآن كل ليلة.

ثم لما رأى عجزهم عن ذلك، قال ﷺ:« إِنَّ اللهَ تَعَالَى جَزَّأَ الْقُرْآنَ ثَلاثَةَ أَجْزَاءٍ فَجَعَلَ {قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ} جُزْءًا مِنْ أَجْزَاءِ الْقُرْآنِ»، معبراً بالأسلوب الخبري المؤكد بـ«إن واسمية الجملة»، تنزيلا لهم منزلة المنكر، فجاء بأداة التوكيد « إن» لتقرير المعنى في نفوسهم، و«إن» حرف مُشبه بالفعل، وهي من أكثر أدوات التَّوكيد دُخولاً على أضرب الخبر، وجاء ورودها في أحاديث فضائل القرآن لأهميتها وبعدها التواصلي وقدرتها على إيصال غرضه ﷺ وإيضاح مُبتغاه وهو التنبيه على فضل سورة الإخلاص «قل هو الله أحد».

والذي دعم هذه الصورة ذلك الأسلوب الحُواري الذي أتى به النبي ﷺ في خطابه مع صحابته، هذا إلى جانب الأسلوب الاستفهامي الذي كان له دورٌ إيجابيٌّ فى مجال الدعوة وتبليغ ما أمر الله به حثًّا على فضائل الأعمال؛ حيث تفاعل الصحابة من خلاله مع النبي ﷺ يسألونه ويستفسرون منه عما يعن لهم لمعرفة الصواب والعمل به، بغية الاستزادة من الطاعات، هذا بالإضافة إلى أسلوب التشويق الذي ظهر جليًّا من خلال

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل قل هو الله أحد، ٩/ ٦١.

تكرار الاستفهام الذي أثار في الصحابة استشرافًا لما سُيلقى عليهم لاحقًا، مما جعلهم يُصِرُّون على معرفة ما قصد إليه ﷺ، وما الخير الذي ينتظرهم.

***

• ومن الأحاديث التي جاءت في بيان شأن سورة الإخلاص مؤكدة على عظيم فضلها؛ ما ورد عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنه قَالَ: «أَيَعْجَزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟» قَالَ: وَكَيْفَ يَقْرَأُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟ قَالَ: {قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ} ثُلُثُ الْقُرْآنِ»(١).

في هذا الحديث اتحدت كثير من الفنون البلاغية التي أسهمت في بيان غرض النبي ﷺ وعلى رأسها هذا الأسلوب الحُواري الذي تَجلَّى فيه دور الاستفهام البلاغي الذي أسهم بدوره في التأثير في المتلقين وحملهم على الإذعان لما سَيُلقى عليهم، وزفَّ إليهم بشارةً عظيمةً لم يُرِدْ رسول الله ﷺ أن يذكرها ذكرًا عابرًا، وإنما أراد أن تأتيَ على هذه الحالُ من التشويقِ وإثارة الفضول؛ فاتَّخذ أسلوبَ الاستفهام بيانًا لها، فقال: «أَيَعْجَزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟» ثم خصَّ التعبيرَ بالعجزِ في قوله: «أَيَعْجَزُ» لأنه مما يَعجز عنه كثيرٌ من الناسِ بسبب انشغالهم بأمورِ الدنيا فكان من الصعب المُداومة على فعله، ولِمَا يُصيبهم من مشقةٍ في تحصيل ذلك. فخرج الاستفهام فيه من معناه الحقيقي؛ إذ ليس السؤال منه على الحقيقة، وإنما كان سؤالًا مجازيًّا الغرض منه التَّشويق ولفت الإنتباه.

والعبرة التي دعتْ إلى الإطناب عن طريق تَكرار التعبير بـ « ثُلُثَ الْقُرْآنِ» ثلاث مرات؛ إنها التنبيه على فضل قراءة القرآن عامةً، والتأكيد على فضل سورة الإخلاص «قل هو الله أحد» خاصةً؛ وذلك لأن السورة الكريمة اشتملت على جملة من الفضائلِ، إذ «اشتملت هذه السورة على اسمينِ من أسماء الله تعالى يتضمنانِ جميع أصنافِ

(١) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة قل هو الله أحد، حديث رقم(٨١١)، ١/ ٥٥٦، وصحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، بَابُ فَضْلِ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، حديث رقم (٥٠١٥)، ٦/ ١٨٩.

الكمال لم يوجدا في غيرها من السور وهما «الأحدُ الصَّمدُ» لأنهما يدلان على أحدية الذات المقدسة الموصوفة بجميع أوصاف الكمال وبيان ذلك: أن الأحد يشعر بوجوده الخاص الذي لا يشاركه فيه غيره، والصمد يشعر بجميع أوصاف الكمال لأنه الذي انتهى إليه سؤدده فكان مرجع الطلب منه وإليه، ولا يتم ذلك على وجه التحقيق إلا لمن حاز جميع خصال الكمال وذلك لا يصلح إلا لله تعالى»(١).

ففي قراءة هذه السورة خير كثير وفضائل جمة يحوزها من واظب على قراءتها، ووعى ما فيها من تمجيد للذات الإلهية، وإفراد التوحيد لله سبحانه وتعالى.

***

خامسا: فضل قراءة ما تيسر من القرآن في الصلاة وتعلمه:

حثَّ النبي ﷺ على بيان فضل قراءة القرآن عامة، وفضل قراءة بعض سوره خاصة؛ لِمَا اختصت به من فضل عظيم، كما بَيَّن فضل قراءة بعض آيهِ خاصة - كما وضحَ سابقًا- ، بَيَّن النبي ﷺأيضًا فضل قراءة ما تيسر من القرآن على العموم دون تخصيص، ولو كان ذلك ثلاث آيات، فهذا خير لقارئهن، ويزداد فضلهن إذا تعلمهن وصلى بهن في صلاته.

- فمن الأحاديث التي وردت في هذا الباب ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ إِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ أَنْ يَجِدَ ثَلاثَ خَلِفَاتٍ عِظَامٍ سِمَانٍ. قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: ثَلاثُ آيَاتٍ يَقْرَؤُهُنَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلاتِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلاثِ خَلِفَاتٍ عِظَامٍ»(٢).

(١) ري الظمآن بمجالس «شعب الإيمان، للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي»: أبو حمزة غازي بن سالم أفلح، تقديم: عزيز بن فرحان العنزي وآخرون،١/ ١٤٨، مكتبة دروس الدار، الشارقة – الإمارات، ط١، ١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٢م.

(٢) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن، بَابُ اسْتِذْكَارِ القُرْآنِ وَتَعَاهُدِهِ، رقم ٥٠٣٣ ، وفي رواية عن عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ فَقَالَ «أَيُّكُمْ

ففي هذا الحديث تآزرت مجموعة من الخصائص البلاغية التي عملتْ على إيصال غرضهﷺ إلى المتلقين؛ حيث جاء هذا الحديث حثًّا على قِراءةُ القُرآنِ بيانًا لفضله ففيها الخَيرُ والبَرَكةُ؛ لأنه حَبْلُ اللهِ الموصُولُ، وفيهِ طُمَأنينةُ النفسِ، وعَظيمُ الأجرِ، وفيه النَّجاةُ يومَ القِيامةِ، فإذا كانت القراءةُ في الصَّلاةِ كان الفضلُ أعظَمَ والأجرُ أوفَرَ، وكان من أبرز هذه العناصر البلاغية: أسلوب الكناية الذي أراد ﷺ من خلاله إفادة المبالغة في المعنى؛ «لأن التعبير عن المعنى الكنائي بروادفه وتوابعه، له من القوة والتأكيد ما ليس في التعبير عنه باللفظ الموضوع له، وذلك لأنه يُصبح كإبراز الدعوى بدليلها وكإثبات الحُجَّةِ ببينتها»(١).

فكَنَى النبي ﷺ عن عظيم الأجر وتَنَامِي المنفعة وتكاثرها بقوله: «أَنْ يَجِدَ ثَلاثَ خَلِفَاتٍ عِظَامٍ سِمَانٍ» فالنفسُ تميلُ إلى حُبِّ الخيرِ وتستزيدُ منه؛ ولذلك استخدمَ النبي ﷺ الكناية للتأكيد على فضل قراءة القرآن في الصلاة خاصة.

وقد آثر النبي ﷺ أسلوب التشويق واستمالة المخاطب باستثارة هذا الجانب فيه باستخدام أسلوب الاستفهام الذي شدَّ من أزر الكناية وقَوَّى جانبها، وذلك في قوله: «أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ إِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ» والذي خرجَ الاستفهام فيه من المعنى الحقيقي إلى معنى آخر بلاغي هو البِشَارة؛ حيث أراد النبي أن يزفَّ إلى أصحابه بُشرى عظيمة وخبرًا سارًا يتعلق بفضل قراءة القرآن، ولعظم هذه البشارة لم يرد أن يذكرها ذكرًا عابرًا، بل وجد لها طريقا أكثر تأثيرًا في النفوس.

يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ وَالْعَقِيقِ فَيَأْتِي مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلا قَطْعِ رَحِمٍ، فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ كُلُّنَا يُحِبُّ ذَاكَ قَالَ أَوَلا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَتَعَلَّمُ أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ وَثَلاثٍ وَأَرْبع خيرا مِنْ أَرْبَعٍ وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الإِبِلِ» رواه مسلم فيكتاب صلاة المسافرين، بَابُ فَضْلِ تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ وَقِرَاءَتِهِ. رقم١٨٢٤.

(١) دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، تح/ محمود محمد شاكر أبو فهر، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، ط٣، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م، ١/ ٦٦.

مدعمًا ذلك استحدام أسلوب الأفضلية والخيرية المفهوم من قوله: «خير له من ثلاث خلفات عظام» حيث جاء هذا الحديث ليؤكد حرص النبي ﷺ على إثارة النفوس وجذب الانتباه بغية إقناع المخاطب للامتثال لما أمر الله به، خاصة في خطابه الحواري، فكان هذا الأسلوب الذي يُثير الفضول ويرغب النفس في الطاعة، فمما يدل على تجاوب الصحابة معه قولهم في الجواب: « قُلْنَا نَعَمْ»، وفي رواية أخرى «فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ كُلُّنَا يُحِبُّ ذَاكَ»(١).

ومما دعم صورة الكناية – سالفة الذكر – تقييد الفعل بالجار والمجرور في قوله: «في صلاته» للتأكيد على اختصاص الفضل بكون القراءة في الصلاة أعظم أجرًا من امتلاك ثلاث من النوق الحوامل؛ إذ إن قراءة الآيات تُعد من الباقياتِ الصالحاتِ النَّافعاتِ في الآخرةِ، وأما النُّوقُ فمِنَ الزَّائداتِ الفانياتِ في الدُّنيا.

كما أن الأمر ليْس مُقيَّدًا بقراءةِ ثَلاثِ آياتٍ فقطْ؛ فكُلَّما زَادَ المُصلِّي في قِراءةِ الآياتِ في صَلاتِهِ كان له بعَدَدِهِنَّ مِن الثَّوابِ؛ بدليل أنه ﷺ في روايةٍ أُخرى زاد قوله: «وَأَرْبع خيرًا مِنْ أَرْبَعٍ وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الإِبِلِ»(٢)، فهذا استكثار من الأجر؛ فكلما زاد المؤمن من القراءة تضاعف الأجر والثواب وزاد الفضل.

***

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه، حديث رقم (٨٠٣)، ١/ ٥٥٢.

(٢) المرجع السابق: الصفحة نفسها.

الخاتمة

وبعد هذه الرحلة الممتعة مع الخصائص البلاغية في أحاديث فضائل القرآن في الصحيحين؛ أعترفُ أنَّ هذه الدراسة لم تأتِ على كلِّ ما فيها من بلاغة؛ لرفعة بيانها، ودقة بلاغتها، ولذا فلا زالت تحتاج إلى أقلامٍ تُجلِّي فرائدها، وتكشف غوامضها؛ لثراء مادتها وعمق معانيها، وقد خرجتُ من هذا البحث بطائفةٍ من النتائج كان أبرزها:

- تتعدد الصور البلاغية في الحديث الواحد وتجاورها، بحيث تتضافر جميعها لخدمة الغرض الذي يقوم عليه الحديث، وسيق من أجله؛ رغبة في تثبيته في الأذهان.

- تنوعت الوظائف التي عملت الأساليب البلاغية على إبرازها إيضاحًا وإقناعًا، ومبالغةً ووصفًا وتأكيدًا وتقريرًا، وغير ذلك مما اقتضاه طبيعة البلاغ النبوي.

- وَضَحَ كيف راعى النبي ﷺ أحوال السامع وعُنِي بتهيئته لتلقي المعاني، ومن ثم برزت دقة الأساليب البلاغية ومناسبتها لسياق الكلام.

- استقى النبي ﷺ صوره من البيئة المحيطة به من صور الطبيعة والحيوان، وعمل على توظيفها بما يناسب المعنى ويؤثر في السامع.

- اتَّضح مدى قدرة الأساليب البلاغية على تصوير أحوال النفس البشرية وما تُكنُّه من مشاعر وأحاسيس، كما دلَّت على معرفة النبي ﷺ بطبائع الناس، وأبرزت كيف نَفَذَ إلى نفوسهم وانتقى من الوسائل البلاغية ما يُلائم أحوالهم بُغية توصيل ما أمره الله به.

- اشتملت الأحاديث النبوية التي وردت في بيان فضائل القرآن على مجموعة متنوعة من الفنون البلاغية من أبواب علم المعاني من أحوال الإسناد الخبري، والإنشاء، والقصر، والإيجاز والإطناب وغيرها، مما أسهم بدوره في خدمة المعاني وكان أدعى للتأثير في السامع.

- كان للأساليب الإنشائية حضور ملموس في أحاديث بيان فضائل القرآن نظرًا لأنها أسلوب فعال في جذب انتباه السامع، وتهيئته لما سيلقى عليه، وكان أكثرها ورودًا

أسلوب الاستفهام باعتباره أكثر الأساليب البلاغية إقناعًا وجذبًا وإثارة للنفوس؛ عن طريق التشويق الذي آثره النبي ﷺ في خطابه التعليمي الموجه للصحابة ولجميع المخاطبين في كل زمانٍ ومكانٍ، يأتي بعده أسلوب النداء، ثم النهي.

• وأما عن الصور البيانية فجاء التشبيه في أحاديث فضائل القرآن التي وردت معنا موظفًا بصورة كبيرة وفي أكثر من موضعٍ خاصة (التشبيه التمثيلي) حتى إنه يُعَدُّ فارس رهان السَّبق فيها، وذلك بالقياس مع الفنون البلاغية التصويرية التي وردت في تلك الأحاديث، تأتي بعده الكناية في المرتبة الثانية من حيث كثرة الورود، أما الصور المجازية فتكاد تخلو منها تلك الأحاديث؛ حيث المجاز المرسل والاستعارة؛ ذلك أنَّ النبي ﷺ لم يُرِدْ أنْ يُفسِحَ للخيال مجالًا، وإنما أراد أنْ ينقل المعاني التي جاء بها من عند ربه كما وردت على حقيقتها دون التَّجوز فيها، والذي يضطلع بهذه المهمة هو التشبيه على نحو كبير، ولما كان الهدف من ضرب الأمثال هو إدراك المعانى الذهنية المجردة وتقريبها من العقل، وتكوين صورة لهذا المعنى في المخيلة ليكون التأثير بتلك الصورة أشد وأقوى من الأفكار المجردة كثُر استخدام هذا الأسلوب في الحثَّ والتنبيه على فضائل الأعمال بما فيها التنبيه على فضائل قراءة القرآن وفضل سوره وبعض آيِهِ.

• من أهم الخصائص البلاغية التي تميزت بها أحاديث فضائل القرآن في الصحيحين ورود الأساليب البديعية بقلةٍ ملحوظةٍ؛ ويرجع ذلك إلى أَنَّ الفنون البديعية فيه ليست مُتكلفة، وإنما نابعة من ضروراتٍ سياقية تطلبها المقام والحال، وهي أيضًا ليست غاية في ذاتها، وإنَّما هي وسيلة للتوصيل بأسلوب مؤثر وفعال؛ كي تكون الاستجابة سريعة نابعة من فهم عميق لما في أحاديث فضائل القرآن، وقد جاءت تلك الفنون البديعية خدم للمعاني الجليلة التي قصد إليها النبي ﷺ تحقيقًا للتبليغ والإمتاع الذي استوجب الوقوف على أسرار هذه الأساليب البديعية وأثرها القوي في التأثير في المتلقين واستمالتهم لاعتماد بعضها على الجانب الصوتي الذي يعمل على لفت الانتباه وإيقاظ المخاطبين.

- ومن الفنون البديعية التي كان لحضورها أثر بلاغي بحسب ما استدعاه المقام وتطلبه السياق وجاء عفو الخاطر فزاد الكلام رونقًا وبهاءً؛ منها الطباق، والتوشيع، والجناس.

- موسيقى الحديث النبوي تختلف باختلاف الغرض والمقام؛ ففي مقام الدعوة حثًّا على فضائل الأعمال، ومنها فضل القرآن تتجلى الرقة والليونة وهي وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله على بصيرة.

- الحوار في الحديث النبوى أسلوب راقٍ من أساليب الدعوة والتعليم؛ لأنَّ النبي ﷺ استطاع من خلاله أنْ يكتشف ما يدور في خَلَدِ الصحابة من أفكار تخصُّ ما يريد أن يلقيه إليهم من تعليم وتوجيه، كما استطاع من خلال الحوار أن يصحح ما علق فى أذهانهم من أفكار، وأنْ يحلَّ الإشكالات التى تعترض طريق الفهم عند بعضهم، وكان يحثهم من خلال الحوار على إعمال الذهن وكدِّ الفكر للوصول إلى الصواب والحق، والأسلوب الحُواري الذي بُنيت عليه كثير من أحاديث فضائل القرآن كان له من الجوانب الإيجابية فى مجال الدعوة وتبليغ ما أمر الله به حثًا على فضائل الأعمال؛ حيث تفاعل الصحابة من خلاله مع النبيﷺ يسألونه ويستفسرون منه؛ لأجل معرفة الصواب والعمل به.

توصيات الدراسة

الأحاديث النبوية في بيان فضائل القرآن لرفعة بيانها ودقة بلاغتها لا تزال تحتاج إلى دراسات عدة تستنشق عبيرها، لتصنع عسلا مصفىً ممزوجًا بقبس من نور النبوة؛ فهي تفيض بلاغة وتسمو ببيانها العالي، ولذلك فهي مادة خصبة للبحث على جميع مستويات الدرس البلاغي.

وبعد، فمهما طال المكث مع أحاديث النبي ﷺ وبيانه العالي، ومهما حَصَّلتُ، فما فاتني منه أكثر مما أدركته، ولكنه جهد بشري يهفو إلى الكمال، وهو إلى النقصان أقرب ويكفيه شرف المصاحبة؛ فالله أسأل التوفيق والرشاد والهدى والسداد إنه نعم المولى ونعم النصير.

ثبت المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١. أسرار البلاغة: للشيخ عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، قرأه وعلق عليه/ د محمود محمد شاكر، ط٣، دار المدني بجدة- السعودية ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٢. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، ط٩.

٣. الإيضاح في علوم البلاغة: محمد ابن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: ٧٣٩هـ)، تحقيق/ محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل – بيروت ط٣.

٤. البيان والتبيين: الجاحظ ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

٥. التشبيه التمثيلي في الحديث النبوي من خلال صحيح البخاري د/ محمد السيد عبد الرازق موسى، أستاذ مساعد البلاغة والنقد، كلية التربية – جامعة المنصورة، دط، دت.

٦. التصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف: علي علي صبح، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث، ط١، ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٢م.

٧. خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني: محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ط٧.

٨. دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، تح/ محمود محمد شاكر أبو فهر، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، ط٣، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

٩. ري الظمآن بمجالس «شعب الإيمان، للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي» أبو حمزة غازي بن سالم أفلح، تقديم: عزيز بن فرحان العنزي، وآخرون، مكتبة دروس الدار، الشارقة – الإمارات، ط١، ١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٢م.

١٠. السمو الروحي الأعظم والجمال الفني في البلاغة النبوية: [مصطفى صادق الرافعي]، تحقيق/ أبي عبد الرحمن البحيري وائل بن حافظ بن خلف، دار البشير للثقافة والعلوم، د. ت.

١١. سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، ت/ أحمد محمد شاكر وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط٢، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

١٢. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بالكاشف عن حقائق السنن: للإمام شرف الدين الحسين بن عبد الله بن محمد الطيبي، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة- الرياض، ط ١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

١٣. شرح صحيح البخاري لابن بطال، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، نشر: مكتبة الرشد، الرياض-السعودية، ط٣، ١٤٢٣ه، ٢٠٠٣م.

١٤. شعب الإيمان: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

١٥. صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تح/ : محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٦. صحيح مسلم بشرح النووي، المسمى المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج تأليف أبو زكريا محي الدين يحي بن شريف النووي الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت، ط٢، ١٣٩٢ه.

١٧. صحيح مسلم: للإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، د. ت .

١٨. عبقرية محمد: عباس محمود العقاد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، د، ت.

١٩. عقود الزبرجد على مسند الإمام أحمد (إعراب الحديث) : عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تح/ حسن موسى الشاعر، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، عدد ٦٧.

٢٠. عمدة القاري شرح صحيح البخاري: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى ، دار إحياء التراث العربي – بيروت، د. ت.

٢١. فتح الباري شرح صحيح البخاري: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة النبوية، مكتب تحقيق دار الحرمين – القاهرة، ط١، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦.

٢٢. فضائل القرآن الكريم: عبد السلام بن صالح بن سليمان الجار الله، دار التدمرية،الرياض– السعودية، ط ١٤١٩،١هـ/ ٢٠٠٨م.

٢٣. كتاب الصناعتين، الشعر والنثر: أبو هلال العسكري، تح/ علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية – بيروت، ١٤١٩هـ.

٢٤. كشف المشكل من حديث الصحيحين كشف المشكل من حديث الصحيحين: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، تحقيق/ علي حسين البواب، دار الوطن – الرياض، د. ت.

٢٥. لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ.

٢٦. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعرالمؤلف: ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (المتوفى: ٦٣٧هـ) المحقق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة- القاهرة.

٢٧. مجموع الفتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم رحمه الله، وساعده: ابنه محمد وفقه الله، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة المنورة – السعودية، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م.

٢٨. مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري (ت ١٤١٤هـ، نشر: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية - بنارس الهند، ط٣، د،ت.

٢٩. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح : علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، دار الفكر، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٣٠. مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، تح: أحمد محمد شاكر، دار الحديث – القاهرة، ط١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م.

٣١. مفتاح كنوز السنة: تأليف: أ .ي. فنسنك، ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي، إدراة ترجمان السنة، مطبعة معارف لاهور، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٣٢. من بلاغة الحديث الشريف: عبد الفتاح لاشين، مكتبة عكاظ- المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٣٣. منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري: حمزة محمد قاسم، راجعه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، عني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان، دمشق - الجمهورية العربية السورية، مكتبة المؤيد، الطائف - المملكة العربية السعودية، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٣٤. منة المنعم في شرح صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، تح/ [صفي الرحمن المباركفوري]، لناشر: دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

٣٥. وحي الرسالة: أحمد حسن الزيات، دار الثقافة- بيروت١٤٠٥هـ .

***